

58- سورة (المجادلة)-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾
 الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورُوا لِلَّهِ لَعْنُ غُفُورٍ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
 ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾
 فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَ لَفَنَ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا
 ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَنْذِرُ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

نزلت هذه الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله و جادلته إلى رسول الله ﷺ لما

حرّمها على نفسه بعد الصحبة الطويلة و الأولاد و كان هو رجلا شيخا كبيرا

فشكت حالها و حاله إلى الله و إلى رسول الله ﷺ و كررت ذلك و أبدت فيه و أعادت.

*ابن ماجه 2063 - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ:

تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَ يَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ

(تريد أنها تشكو سرا حتى يخفى عليها بعضه وأنا حاضرة كلامها)

و هِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ هِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَى شَبَابِي وَ نَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي

(أكثر له الأولاد تريد أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده)

الظهار و كفارته 4-1

حَتَّى إِذَا كُوتَ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ

فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهِؤَلَاءِ الْآيَاتِ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة: 1]

فقال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} تخاطبكما فيما بينكما

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} لجميع الأصوات في جميع الأوقات على تفنن الحاجات.

{بَصِيرٌ} يبصر ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء

و هذا إخبار عن كمال سمعه و بصره و إحاطتهما بالأمور الدقيقة و الجليّة

و ففى ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها و يرفع بلواها 1

و لهذا ذكر حكمها و حكم غيرها على وجه العموم فقال:

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ}

المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته: "أنت عاى كظهر أمى" أو غيرها من محارمه أو "أنت علي حرام" و كان المعتاد عندهم في هذا لفظ "الظهر" و لهذا سماه الله "ظهارا"

{إِنْ أُمَّهُتَهُمْ إِلَّا أَلْفِي وَلَدَنَهُمْ}

كيف يتكلمون بهذا الكلام الذى يعلم أنه لا حقيقة له فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتى ولدنهم؟ و لهذا عظم الله أمره و قبحه فقال:

{وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ} قولاً شنيعاً

{وَزُورًا} كذباً.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} عمن صدر منه بعض المخالفات فتداركها بالتوبة النصوح 2

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ}

اختلف العلماء في معنى العود فقيل: -معناه العزم على جماع من ظاهر منها و أنه بمجرد عزمه تجب عليه الكفارة المذكورة و يدل على هذا أن الله تعالى ذكر في الكفارة أنها تكون قبل المسيس و ذلك إنما يكون بمجرد العزم و قيل: معناه حقيقة الوطء و يدل على ذلك أن الله قال: -

{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} و الذي قالوا إنما هو الوطء

و على كل من القولين **{ف}** إذا وجد العود صار كفارة هذا التحريم

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}

مُؤْمِنَةٍ كما قيدت في آية أخرى ذكر أو أنشى بشرط أن تكون سالمة من العيوب المضرة بالعمل.

{مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} يلزم الزوج أن يترك وطء زوجته التي ظاهر منها حتى يكفر برقبة.

{ذَلِكَمُ} الحكم الذي ذكرناه لكم

{ثَوْعُظُونَ بِهِ} تزجرون به -يبين لكم حكمه مع التهيب المقرون به

لأن معنى الوعظ ذكر الحكم مع الترغيب و التهيب فالذى يريد أن يظهر إذا ذكر أنه يجب عليه عتق رقبة كف نفسه عنه

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} فيجازى كل عامل بعمله.

{خَيْرٌ} بما يصلحكم عليم بأحوالكم 3

{فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ} رقبة يعتقها بأن لم يجدها أو لم يجد ثمنها

{ف}عليه {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ} الصيام

{فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم كما هو قول كثير من المفسرين و إما بأن يطعم كل مسكين مدَّ بُرٍّ أو نصف صاع من غيره مما يجزي في الفطرة كما هو قول طائفة أخرى.

{ذَلِكَ} الحكم الذي بيناه لكم ووضحناه لكم

***و قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا علي الترتيب كما في الحديث:

*البخارى 1936 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا كَتَبْتُ (فعلت ما يستوجب الهلاك والعقوبة) قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي (جامعتها) وَأَنَا صَائِمٌ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لَا

قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» قَالَ: لَا

فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قَالَ: لَا

قَالَ: فَمَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَ الْعَرَقُ الْمِزْلُ -

قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا قَالَ: «خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرٍ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَبْتَيْهَا-يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ (وهي أرض ذات حجارة سوداء والمدينة بين حرتين)- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَضَحِكَ

النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ (الأسنان الملاصقة للرباعيات وهو علامة شدة ضحكه صلى الله عليه وسلم) ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»

{لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}

و ذلك بالتزام هذا الحكم و غيره من الأحكام و العمل به فإن التزام أحكام الله و العمل بها من الإيمان بل هي المقصودة و مما يزيد به الإيمان و يكمل و ينمو.

{وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} التي تمنع من الوقوع فيها فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها.

{وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ}

و في هذه الآيات عدة أحكام:

1- لطف الله بعباده و اعتناؤه بهم حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة و أزالها و رفع عنها البلوى

2- بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية.

3- أن الظهار مختص بتحريم الزوجة لأن الله قال {مِنْ نِسَائِهِمْ} فلو حرم أمته لم يكن ذلك ظهارا

بل هو من جنس تحريم الطعام و الشراب تجب فيه كفارة اليمين فقط.

4- أنه لا يصح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار كما لا يصح طلاقها سواء نجز ذلك أو علقه.

5- أن الظهار محرم لأن الله سماه منكرا من القول و زورا.

1- تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته لأن الله تعالى قال: {مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ}

- 2- أنه يكره للرجل أن ينادى زوجته و يسميها باسم محارمه كقوله " يا أمى " " يا أختى " و نحوه لأن ذلك يشبه المحرم. أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر على اختلاف القولين السابقين لا بمجرد الظهار.
- 3- أنه يجزئ في كفارة الرقة الصغير و الكبير و الذكر و الأنثى لإطلاق الآية في ذلك.
- 6- أنه يجب إخراجها إن كانت عتقا أو صياما قبل المسيس كما قيده الله بخلاف كفارة الإطعام فإنه يجوز المسيس و الوطاء في أثنائها.

7- أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس أن ذلك أدعى لإخراجها فإنه إذا اشتاق إلى الجماع و علم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة بادر لإخراجها.

- 8- أنه لا بد من إطعام ستين مسكينا فلو جمع طعام ستين مسكينا و دفعها لواحد أو أكثر من ذلك دون الستين لم يجز ذلك لأن الله قال: **{فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}** 4

تهديد الكافرين 5-6

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

محادة الله و رسوله:-

مخالفتهم و معصيتهم خصوصا في الأمور الفظيعة كمحاددة الله و رسوله بللكفر و معاداة أولياء الله.

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَطَعَنُوهُ بِلَاغٍ} (البقرة: 190)

و ليس لهم حجة على الله فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق

{وَقَدْ أَنْزَلْنَا} و قد أنزل من الـ **{آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}** (البينات و البراهين ما يبين الحقائق و يوضح المقاصد

فمن اتبعها و عمل عليها فهو من المهتدين الفائزين

{وَاللَّكَفِرِينَ} بها **{عَذَابٌ مُهِينٌ}** يهينهم و يذلهم كما تكبروا عن آيات الله أهانهم الله و أذلهم 5

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا} فيقومون من أجداثهم سريعا" فيجازيهم بأعمالهم

{فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا} من خير و شر لأنه علم ذلك و كتبه في اللوح المحفوظ

{أَخَصَّنْهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} و أمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابته هذا

{وَالْعَامِلُونَ} قد نسوا ما عملوه و الله أحصى ذلك.

{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} بالظواهر و السرائر و الخبايا و الخفيا 6

.....

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسُوا الْمَصِيرَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اأَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

احاطة علم الله 7

و لهذا أخبر عن سعة علمه و إحاطته بما في السماوات و الأرض من دقيق و جليل. و أنه

(مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ

أَيْنَ مَا كَانُوا) و المراد بهذه المعية معية العلم و الإحاطة بما تناجوا به و أسروه فيما بينهم

كقوله { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } [التوبة: 78]

(ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ)

أدب المناجاة وتقديم الصدقة للنبي عند المناجاة 8-13

و لهذا قال: (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: افْتَتَحَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ وَ اخْتَتَمَهَا بِالْعِلْمِ 7

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) التناجى بين اثنين فأكثر و قد تكون في الخير و تكون في الشر

-نُهِوا عن الحديث سرّاً بما يثير الشك في نفوس المؤمنين

(ثُمَّ يَعُودُونَ)

ثم يرجعون (لِمَا نُهُوا عَنْهُ)

(وَيَتَنَجَّوْنَ)

و يتحدثون سرّاً بما هو (بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ) مخالفة لأمر (الرَّسُولِ)

(وَإِذَا جَاءُوكَ) أيها الرسول- هؤلاء اليهود لأمر من الأمور

(حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ) بغير التحية التي جعلها الله لك تحية فقالوا: (السام عليك) أى: الموت لك

(وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ)

يسرون في أنفسهم ما ذكره عالم الغيب و الشهادة عنهم و هو قولهم:

(لَوْلَا) هــلا

(يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) لمحمد إن كان رسولا حقا

معنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك و يستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم أن ما يقولون غير محذور قال تعالى في بيان أنه يمهل و لا يهمل:

(حَسْبُكُمْ) تكفيهم (جَهَنَّمَ) التي جمعت كل شقاء و عذاب عليهم (يَصْلَوْنَهَا) تحيط بهم و يعذبون بها

(فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) فبئس المخرج هـ

*الصحيح الممسند من اسباب النزول- أحمد7061- عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو:

أَنَّ الْيَهُودَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: السَّامُ عَلَيْكَ وَ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: {لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ} [المجادلة: 8]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ فُقَرَأَ إِلَى قَوْلِهِ} {فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [المجادلة: 8]

*أحمد-25029- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَأَذِنَ لَهُ

فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَ عَلَيْكَ

قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَّةَ

فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَ عَلَيْكَ "

قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ

قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَ غَضِبُ اللَّهُ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَ الْخَنَازِيرِ

أَتَحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا لَمْ يُحْيِهِ بِهِ اللَّهُ؟

قَالَتْ: فَتَنَظَرُ إِلَيَّ فَقَالَ: مَهْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَ لَا التَّفَحُّشَ

قَالُوا قَوْلًا فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ وَ لَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى

1-يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَ ضَلُّوا عَنْهَا

2-وَ عَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَ ضَلُّوا عَنْهَا

3-وَ عَلَى قَوْلِنَا خَلَفَ الْإِمَامُ: آمِينَ "

(فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) و هؤلاء المذكورون:-

1-إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان و يخاطبون الرسول ﷺ بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا

به خيرا و هم كذبة في ذلك

2-و إما أناس من أهل الكتاب الذين إذا سلموا على النبي ﷺ قالوا: «**السام عليك يا محمد**» يعنون بذلك

الموت 31

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مُؤَدَّبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَكُونُوا مِثْلَ الْكَافِرَةِ وَ الْمُنَافِقِينَ:-

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّبُوا بِالْإِنِّرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ)

كَمَا يَتَنَاجَى بِهِ الْجَهْلَةُ مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ مَنْ مَالَاهُمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ

{وَتَنَجَّبُوا} فأمر الله تعالى المؤمنين أن يتناجوا

(بِالْبِرِّ):- وهو اسم جامع لكل خير و طاعة و قيام بحق الله و لعباده

و (وَالْتَقَوَى) و هى هنا :-اسم جامع لترك جميع المحارم و المآثم

فالمؤمن يمثل هذا الأمر الإلهى فلا تجده مناجيا و متحدثا إلا بما يقربه من الله و يباعده من سخطه

و **الفاجر** يتهاون بأمر الله و يناجى بالإثم و العدوان و معصية الرسول كالمنافقين الذين هذا دأبهم و حالهم

مع الرسول ﷺ

(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فَيُخَبِّرُكُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَ أَقْوَالِكُمْ الَّتِي أَحْصَاهَا عَلَيْكُمْ وَ سَيَجْزِيكُمْ بِهَا

*البخارى 4685 - عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:- بَيْنَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ:-

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ - أَوْ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ - سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّجْوَى؟

فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يُدْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ -

وَ قَالَ هِشَامٌ: يُدْنُو الْمُؤْمِنُ - حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ

تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ يَقُولُ:- رَبِّ أَعْرِفْ مَرَّتَيْنِ فَيَقُولُ: سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا وَ أَغْفِرَهَا لَكَ الْيَوْمَ

ثُمَّ تَطْوِي صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ وَ أَمَّا الْآخَرُونَ- أَوْ الْكُفَّارُ-فَيَنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ:

{ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } [هود: 18] 9

(إِنَّمَا النَّجْوَى) تناجى أعداء المؤمنين بالمؤمنين بالمكر و الخديعة و طلب السوء

(مِنْ) وسوسة (الشَّيْطَانِ) الذى كيده ضعيف و مكره غير مفيد.

(لِيُحْزَنَ) ليسوء (الَّذِينَ ءَامَنُوا) هذا غاية هذا المكر و مقصوده

*البخارى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخِرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ (تصبحوا أكثر من ثلاثة) أَجَلٌ أَنْ يُحْزَنَهُ

(من أجل أن المناجاة دونه تزججه وتسيئه)

(وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ) بمؤذى المؤمنين (شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ) بمشيئة (اللَّهِ) تعالى وإرادته

فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية و النصر على الأعداء و قال تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)

فَأَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مَهْمَا تَنَاجَوْا وَمَكُرُوا فَإِنَّ ضَرَرَ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَا يَضُرُّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا شَيْءٌ قَدَرَهُ اللَّهُ وَ قَضَاهُ

* وَ مَنْ أَحْسَسَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَ لِيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ بِإِذْنِ اللَّهِ.
(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ) ليعتمد

(الْمُؤْمِنُونَ) عليه و يثقوا بوعده فإن من توكل على الله كفاه و تولى أمر دينه و دنياه 10

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) صدّقوا الله و رسوله و عملوا بشرعه-هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين

(إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ)

إذا طُلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس

(فَافْسَحُوا) فأوسعوا

(يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة

* البخارى-6269 عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-
لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»

(وَلِإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا) ارتفعوا و تنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض التقي يكون فيها خير لكم

(فَأَنْشُرُوا) فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم و الإيمان

(يَرْفَعُ اللَّهُ) مكانة (الَّذِينَ ءَامَنُوا) المؤمنين المخلصين (منكم)

(و) يرفع مكانة (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) كثيرة في الثواب و مراتب الرضوان

* مسلم -817 عَنْ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَهَلٍّ فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي فَقَالَ: ابْنُ أَبْرَى قَالَ: وَ مَنْ ابْنُ أَبْرَى؟
قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟
قَالَ: إِنَّهُ قَارِئُ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ إِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ قَالَ عُمَرُ: أَمَّا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ:-
«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ».

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فيجازي كل عامل بعمله إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

و فى هذه الآية:-

1-فضيلة العلم و أن زينته و ثمرته التأدب بآدابه و العمل بمقتضاه

2-تنويه بمكانة العلماء و فضلهم و رفع درجاتهم 11

.....

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَسْفَقْتُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ فَإِذَا لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ءَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ءُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ءُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ

ءُولَئِكَ فِي ءَلْدَلِينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) يا أيها الذين صدَّقوا الله و رسوله و عملوا بشرعه

(إِذَا نَجَّيْتُمُ) إذا أردتم أن تكلّموا

(الرَّسُولَ) ﷺ سرّاً بينكم و بينه

(فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ) قبل ذلك

(صَدَقَةٌ) لأهل الحاجة

(ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ) لما فيه من الثواب و الأجر

(وَأَطْهَرُ) و أزكى لقلوبكم من المآثم

-تحصل لكم الطهارة من الأدناس التي من جملتها ترك احترام الرسول و الأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها

فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانا لمن كان حريصا على الخير و العلم فلا يبالى بالصدقة و من لم يكن له حرص و لا رغبة في الخير و إنما مقصوده مجرد كثرة الكلام فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول هذا في الواجد للصدقة

(فَإِن لَّمْ تَجِدُوا) ما تتصدقون به

(فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لعباده المؤمنين

(رَجِمُ) بهم

فلا حرج عليكم فإن الله لم يضيق عليه الأمر بل عفا عنه و سامحه و أباح له المناجاة بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها **12**

ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين و مشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة سهل الأمر عليهم و لم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة و بقي التعظيم للرسول و الاحترام بحاله لم ينسخ لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره ليس مقصودا لنفسه و إنما المقصود هو الأدب مع الرسول و الإكرام له و أمرهم تعالى أن يقوموا بالمأمورات الكبار المقصودة بنفسها فقال:-

(أَشْفَقْتُمْ) أخشيتم الفقر

(أَنْ تَقْدِمُوا) إذا قدّمتم (بَيْنَ يَدَيَّ) قبل (تَجْعَلُونَكُمْ) مناجاتكم رسول الله (صَدَقْتُمْ)؟

(فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا) ما أمرتم به

(وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) عفا لكم عن ذلك -و رخص لكم في ألا تفعلوه

(فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ) بأركانها و شروطها و جميع حدودها و لوازمها

(وَأَنفُوا الزَّكَاةَ) المفروضة في أموالكم إلى مستحقيها.

و هاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية و المالية

*فمن قام بهما على الوجه الشرعي فقد قام بحقوق الله و حقوق عباده و لهذا قال بعده:

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) و هذا أشمل ما يكون من الأوامر.

و يدخل في ذلك:-

1- طاعة الله و طاعة رسوله بامتثال أوامرهما

2- و اجتناب نواهيها

3- و تصديق ما أخبرا به و الوقوف عند حدود الله

و العبرة في ذلك على الإخلاص و الإحسان و لهذا قال:

(وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)

فيعلم تعالى أعمالهم و على أي وجه صدرت فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم **13**

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) ينكر الله تعالى على المنافقين في هذه الآيات كما قال تعالى

موالة الكفار و عاقبتها 14-22

[مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا] [النساء: 143]

*الصحيح المسند من اسباب النزول- أحمد 2147 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بَعَيْنِ شَيْطَانٍ أَوْ بَعَيْنِي شَيْطَانٍ قَالَ: فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَلَامَ سَبَبْتَنِي - أَوْ شَتَمْتَنِي أَوْ نَحَوَ هَذَا -؟

قَالَ: وَجَعَلَ يَخْلِفُ قَالَ: فَتَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي الْمُجَادَلَةِ: {وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [المجادلة: 14] وَ الْآيَةُ الْآخَرَى

يخبر تعالى عن شناعة حال المنافقين الذين يتولون الكافرين من اليهود و النصارى و غيرهم ممن غضب الله عليهم و نالوا من لعنة الله أوفى نصيب

(مَا هُمْ مِنْكُمْ) و أنهم ليسوا من المؤمنين (وَلَا مِنْهُمْ) و لا من الكافرين

فليسوا مؤمنين ظاهرا و باطنا لأن باطنهم مع الكفار و لا مع الكفار ظاهرا و باطنا لأن ظاهرهم مع المؤمنين و هذا وصفهم الذي نعتهم الله به

(وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ) اليمين الغموس فيحلفون أنهم مؤمنون (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم ليسوا مؤمنين 14 (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)

فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة أن الله أعد لهم عذابا شديدا لا يقادر قدره و لا يعلم وصفه

(إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) حيث عملوا بما يسخط الله و يوجب عليهم العقوبة و اللعنة 15

(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) ترسا و وقاية يتقون بها من لوم الله و رسوله و المؤمنين

(ف-) بسبب ذلك (فَصَدُّوا) أنفسهم و غيرهم (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

و هى الصراط الذى من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم.

و من صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم

(فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) حيث استكبروا عن الإيمان بالله و الانقياد لآياته أهانهم بالعذاب السرمدى الذى لا يفتقر عنهم ساعة و لا هم ينظرون.

* فِي مُقَابَلَةِ مَا امْتَنَّهُنَا مِنَ الْحَلِفِ بِاسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي الْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ الْحَانِثَةِ 16

(لَنْ تُقْنَى) تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) من العذاب و لا تحصل لهم قسطا من الثواب

(أُولَئِكَ اصْحَابُ النَّارِ) الملازمون لها الذين لا يخرجون عنها

و (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) و من عاش على شىء مات عليه 17

فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على المؤمنين و يحلفون لهم أنهم مؤمنون

فَإِذَا كَانَ (يَوْمَ) الْقِيَامَةِ (يَبْعَثُهُمْ) وَبَعَثَهُمُ (اللَّهُ جَمِيعًا)

(فَيَحْلِفُونَ) حَلَفُوا (لَهُ) لِلَّهِ

(كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ

(وَيَحْسِبُونَ) وَيَحْسِبُونَ فِي حَلْفِهِمْ هَذَا (أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ)

لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئاً فشيئاً حتى غرتهم و ظنوا أنهم على شيء يعتد به و يعلق عليه الثواب

(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) فَيُذَكِّرُ ذَلِكَ وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْكَذِبَ لَا يَرُوجُ عَلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ 18

(أَسْتَحْوَذَ) غَلَبَ

(عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) وَ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ

(فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ)

حتى تركوا أوامر الله و العمل بطاعته

(أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) وَ أَتْبَاعُهُ

(أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ) فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ - الَّذِينَ خَسِرُوا دِينَهُمْ وَ دُنْيَاهُمْ وَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ

{ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر: 6]

*أبي داود - 547 - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تَقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ

فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ» قَالَ زَائِدَةُ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْرِى بِالْجَمَاعَةِ: الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ 19

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ) المحادين:- الَّذِينَ هُمْ فِي حَدٍّ وَ الشَّرْعِ فِي حَدٍّ أَوْ الْمَجَانِبُونَ لِلْحَقِّ

(اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) (الاشقياء البعيدين المطرودين عن الصواب الاذلين في الدنيا و الآخرة

*هذا وعد و وعيد لعن لمن حاد الله و رسوله بالكفر و المعاصي أنه مخذول مذلول لا عاقبة له حميدة

و لا راية له منصوره 20

(كَتَبَ اللَّهُ) فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ

(لَا غَلَبَ لَكَ) حَكَمَ بِأَنَّ النِّصْرَةَ (أَنَا) لَهُوَ وَلِكُتَابِهِ (وَرُسُلِي) وَ رُسُلُهُ وَ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنِينَ.

و وعد لمن آمن به و برسله و اتبع ما جاء به المرسلون فصار من حزب الله المفلحين أن لهم الفتح و النصر
و الغلبة في الدنيا و الآخرة و هذا وعد لا يخلف و لا يغير

(إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ) الذي لا يعجزه شيء يريد

(عَزِيزٌ) على خلقه 21

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
 أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ
 وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ
 أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

59-سورة الحشر-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 فَأَنَّهٗمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ لَا أَبْصَرَ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

(لَا يَجِدُ) أيها الرسول (قَوْمًا يُؤْمِنُونَ) (بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) و يعملون بما شرع الله لهم
 (يُوَادُّونَ) يحبون و يوالون (مَنْ حَادَّ) عادى-خالف أمر (اللَّهُ وَرَسُولُهُ)

(وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) أقرباءهم
 كقوله {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
 وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24]

{أُولَئِكَ كَتَبَ} رسم و ثبت و غرس غرسا لا يتزلزل و لا تؤثر فيه الشبه و الشكوك (فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)
 (وَأَيَّدَهُم) قواهم الله (بِرُوحٍ مِّنْهُ) بوحيه و معونته و مدده الإلهي و إحسانه الرباني.

(وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) من تحت قصورها و أشجارها الأنهار
 (خَالِدِينَ فِيهَا) ماكثين فيها زمانًا ممتدًا لا ينقطع

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) هو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا

(وَرَضُوا عَنْهُ) يرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات و وافر المثوبات و جزيل الهبات و رفيع
 الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية و لا فوقه نهاية

(أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) و أولياؤه و أولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا و الآخرة.

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله و اليوم الآخر وهو مع ذلك مواد لأعداء الله محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره:-

فإن هذا إيمان زعمى لا حقيقة له فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه فمجرد الدعوى لا تفيد شيئا و لا يصدق صاحبها.

(أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) عباد الله و اهل كرامته 22

59- تفسير سورة الحشر - مدنية - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* البخارى 4882 - سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ قَالَ:- «التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ» (سميت بذلك لأنها فضحت المنافقين وكشفت معايبهم) مَا زَالَتْ تَنْزِلُ وَ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقَى أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ» قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْحَشْرِ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَرَى النَّضِيرِ»

* الصحيح المسند من أسباب النزول - الحاكم 3797 - عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:- كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَ هُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَ كَانَ مَنْزِلُهُمْ وَنَخْلُهُمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ وَ عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الْإِبِلُ مِنَ الْأُمْتَعَةِ وَ الْأَمْوَالِ إِلَّا الْحَلَقَةَ يَعْزِي السَّلَاحَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} إِلَى قَوْلِهِ {لَأَوَّلُ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا} [الحشر: 2]

فَقَاتَلَهُمُ الرَّبُّ ﷻ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ وَ كَانُوا مِنْ سَبْطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ فِيمَا خَلَا وَ كَانَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَ السَّيْرِ وَ أَمَّا قَوْلُهُ {لَأَوَّلُ الْحَشْرِ} [الحشر: 2] فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ

هذه السورة تسمى (سورة بني النضير) و هم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة وقت بعثة النبي فلما بعث النبي ﷺ و هاجر إلى المدينة كفروا به في جملة من كفر من اليهود

فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة فلما كان بعد وقعة بدر بستة أشهر أو نحوها خرج إليهم النبي ﷺ و كلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري فقالوا: نفعل يا أبا القاسم اجلس هاهنا حتى نقضى حاجتك فخلا بعضهم ببعض وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم فتآمروا بقتله

و قالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى فيصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟

فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا

فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا فو الله ليخبرن بما همتم به و إنه لنقض العهد الذي بيننا و بينه

و جاء الوحى على الفور إليه من ربه بما هموا به فنهض مسرعا فتوجه إلى المدينة و لحقه أصحابه

فقالوا: نهضت و لم نشعر بك فأخبرهم بما همتم به. و بعث إليهم رسول الله:-

« أن اخرجوا من المدينة و لا تسكنوني بها و قد أجلتكم عشرا فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه »

فأقاموا أياما يتجهزون و أرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول:-

« أن لا تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم و تنصركم قريظة

و حلفاؤكم من غطفان » و طمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له و بعث إلى رسول الله ﷺ

□ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول الله ﷺ و أصحابه و نهضوا إليهم

و علي بن أبي طالب ﷺ يحمل اللواء

فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل و الحجارة و اعتزلتهم قريظة و خانهم ابن أبي و حلفاؤهم من غطفان

فحاصروهم رسول الله و قطع نخلهم و حرق.

فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم و ذرايرهم

و أن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح و قبض رسول الله ﷺ الأموال و السلاح.

و كانت بنو النضير خالصة لرسول الله لنوائبه و مصالح المسلمين و لم يخمسها

لأن الله أفاءها عليه و لم يوجف المسلمون عليها بخيل و لا ركاب و أجلاهم إلى خير و فيهم حيي بن

أخطب كبيرهم و استولى على أرضهم و ديارهم و قبض السلاح

فوجد من السلاح خمسين درعا و خمسين بيضة و ثلاثمائة و أربعين سيفا

اجلاء بنى النضير 5-1

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

فافتتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات و الأرض تسبح بحمد ربها و تنزهه عما لا

يليق بجلاله و تعبدده و تخضع لجلاله لأنه العزيز

(وَهُوَ الْعَزِيزُ) لا يستعصى عليه مستعصى الذى قد قهر كل شىء فلا يمتنع عليه شىء

(الْحَكِيمُ) فى خلقه و أمره

فلا يخلق شيئا عبثا و لا يشرع ما لا مصلحة فيه و لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته 1

(هُوَ) سبحانه (الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا) جحدوا نبوة محمد ﷺ

(مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) و هم يهود برى النضير حين غدروا برسوله

(مِنْ دِيَارِهِمْ) مساكنهم التى جاوروا بها المسلمين حول «المدينة

(لأَوَّلِ الْحَشْرِ) و ذلك أول إخراج لهم من «جزيرة العرب» إلى «الشام»

(مَا ظَنَنْتُمْ) أيها المسلمون

(أَنْ يَخْرُجُوا) من ديارهم لحصانتها و منعها و عزهم فيها بهذا الذل و الهوان

(وَقَالُوا) ظن اليهود (أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ) تدفع عنهم

(مَنْ) (بِأَس) (اللَّهُ)

{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}

[النحل: 26]

و لهذا قال:

(فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) من الأمر و الباب الذي لم يخطر ببالهم أن يؤتوا منه

و هو (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)

الخوف الشديد الذى هو جند الله الأكبر الذي لا ينفع معه عدد و لا عدة و لا قوة و لا شدة

فمن وثق بغير الله فهو مخذول و من ركن إلى غير الله فهو عليه وبال

*البخاري 438 جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي:-

1-نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ

2-وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَ طَهُورًا وَ أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ

3-وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ

4-وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً

5-وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ

و لهذا قال: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ)

حتى لا ينتفع بها المؤمنون و ليأخذوا بعض أبوابها و أخشابها المستحسنة معهم.

-يخربون ما في بيوتهم مِنَ الْمُنْقُولَاتِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُحْمَلَ مَعَهُمْ

- فنقضوا لذلك كثيرا من سقوفهم التي استحسناها

(وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) إذ كانوا يهدمون عليهم الحصون ليتمكنوا من قتالهم.

*و ذلك أنهم صالحوا النبي ﷺ على أن لهم ما حملت الإبل.

*سَيَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَ أَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى أَدْرَعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ

وَ هِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَ الْمَنْشَرِ وَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى خَيْبَرَ.

(فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِ الْأَبْصَارِ) البصائر النافذة و العقول الكاملة

فإن في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق المتبعين لأهوائهم الذين لم تنفعهم عزتهم

و لا منعتهم قوتهم و لا حصنتهم حصونهم حين جاءهم أمر الله و وصل إليهم النكال بذنوبهم

و العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار و هو اعتبار النظر بنظيره و قياس الشيء على مثله و التفكير فيما تضمنته الأحكام من المعافى و الحكم التي هي محل العقل و الفكرة و بذلك يزداد العقل و تنور البصيرة و يزداد الإيمان و يحصل الفهم الحقيقي و دلت الآية الكريمة :-

أن لهم حشرا و جلاء غير هذا فقد وقع حين أجلاهم النبي ﷺ من خير ثم عمر ﷺ أخرج بقيتهم منها. ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة و أن الله خفف عنهم **2**

(وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) من ديارهم و قضاة

(لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) بالقتل و السبي - و إن فاتهم العذاب الشديد الدنيوى -

فلا يخطر ببالهم أن عقوبتهم قد انقضت و فرغت و لم يبق لهم منها بقية

(وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ)

عذاب النار الذى لا يمكن أن يعلم شدته إلا الله تعالى فما أعد الله لهم من العذاب في الآخرة أعظم

و أطم **3**

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} و ذلك لأنهم (شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) و عادوهم و حاربوهم و سعوا في معصيتهم.

{وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} و هذه عادته و سنته فيمن شاقه 4

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ}

و لما لام بنو النضير رسول الله ﷺ و المسلمين في قطع النخيل و الأشجار و زعموا أن ذلك من الفساد و توصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه إنه بإذنه تعالى و أمره حيث سلطكم على قطع نخيلهم و تحريقها ليكون ذلك نكالا لهم و خزيا في الدنيا و ذلا يعرف به عجزهم التام الذي ما قدروا على استنقاذ نخيلهم الذي هو مادة قوتهم.

*البخارى 2326- عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَ قَطَعَ

*البخارى 4028- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَارَبَتْ (نقضت العهد وصارت معاربة) النَّضِيرُ وَ قُرَيْظَةُ

فَأَجَلَىٰ بَنِي النَّضِيرِ وَ أَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَ مَنْ عَلَيْهِمْ (أطلقهم ولم يأخذ منهم شيئا) حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ فَقَتَلَ رِجَالُهُمْ وَ قَسَمَ

نِسَاءَهُمْ وَ أَوْلَادَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَنَهُمْ وَ أَسْلَمُوا وَ أَجَلَى يَهُودَ

الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنِقَاعٍ وَ هُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَ يَهُودُ بَنِي حَارِثَةَ وَ كُلُّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ

*مسلم - (1746) عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ (أكثر إحراقها بالنار) بَنِي النَّضِيرِ

وَ قَطَعَ (وقطع بعضها وبنو النضير طائفة من اليهود) وَ هِيَ الْبُؤَيْرَةُ (موضع نخل بني النضير) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:-

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر: 5]

*الصحيح المسند من اسباب النزول-البخارى 4032 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ "قَالَ: وَ لَهَا يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:-
وَ هَانَ عَلَى سَرَاةِ بَرَى لُؤَى ... حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ

قَالَ: فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ (بن عبد المطلب وكان يومها كافرا وأسلم يوم الفتح):-

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ ... وَ حَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا (وهي المدينة وسائر مواضع الإسلام في حينها) السَّعِيرُ (النار الشديدة)
سَتَعْلَمُ أَيْنَا مِنْهَا بَنْزُهُ (في بعد من سوء) ... وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا (بلدنا المدينة ومكة) تَضِيرُ (يصيبها الضرر)

{لِينَةُ} اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات و أولها

فهذه حال بني النضير و كيف عاقبهم الله في الدنيا 5

ثم ذكر من انتقلت إليه أموالهم وأمتعتهم فقال:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} من أهل هذه القرية و هم بنو النضير.

{ ف } {إنكم يا معشر المسلمين {فَمَا أَوْجَفْتُمْ} {أجلبتهم و أسرعتم و حشدتم

{عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا} لم تتعوا بتحصيلها لا بأنفسكم و لا بمواشيكم

بل قذف الله في قلوبهم الرعب فأتتكم صفوا عفوا

{رِكَابٍ} {الابل

لهذا قال: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه ممتنع و لا يتعزز من دونه قوي.

و تعريف [الفقه] في اصطلاح الفقهاء:-

هو ما أخذ من مال الكفار بحق من غير قتال كهذا المال الذي فروا و تركوه خوفا من المسلمين

و سمى فيئا لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له إلى المسلمين الذين لهم الحق الأوفر فيه.

و حكمه العام كما ذكره الله في قوله 6

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} عموما سواء أفاء الله في وقت رسوله أو بعده لمن يتولى من بعده أمته .

*جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها كحكم برى النضير

{فِلَلَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}

و هذه الآية نظير الآية التي في سورة الأنفال في قوله:

{وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [الأنفال: 41]

-فهذا الفقه يقسم خمسة أقسام:-

1-خمس لله و لرسوله يصرف في مصالح المسلمين العامة

2- و **خمس لذوى القربى** و هم: بنو هاشم و بنو المطلب حيث كانوا يسوى فيه بين ذكورهم و إناثهم

و إنما دخل بنو المطلب في خمس الخمس مع بني هاشم و لم يدخل بقية بني عبد مناف لأنهم شاركوا برى هاشم في دخولهم الشعب حين تعاقدت قريش على هجرهم و عداوتهم فصرخوا رسول الله ﷺ بخلاف غيرهم و لهذا قال النبي ﷺ في بني عبد المطلب: - « **إنهم لم يفارقوني في جاهلية و لا إسلام** »

3- و **خمس لفقراء اليتامى** و هم: - من لا أب له و لم يبلغ

4- و **خمس للمساكين**

5- و **سهم لأبناء السبيل** و هم الغرباء المنقطع بهم في غير أوطانهم.

* البخارى 2904 - عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً (اختص بها ولم يشاركه فيها أحد) وَ كَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَّتِهِ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السَّلَاحِ وَ الْكِرَاعِ (الخيل) عِدَّةً (استعدادا للجهاد والعدة كل ما يعد لحوادث الدهر من سلاح وغيره) فِي سَبِيلِ اللَّهِ

* البخارى 3094 - مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ وَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ - ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ حَدِيثِهِ ذَلِكَ (شيئا منه) فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ

فَقَالَ مَالِكٌ-بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِ حِينَ مَتَعَ النَّهَارُ (ارتفع و طال ارتفاعه وذلك قبل الزوال) إِذَا رَسُولُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَأْتِينِي فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رِمَالٍ سَرِيرٍ (ما ينسج من ورق النخيل ليضطجع عليه) لَيْسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ فَرَّاشٌ مُتَكِيٌّ عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ فَقَالَ: يَا مَالِكُ إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ أَهْلُ أَبْيَاتٍ وَ قَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ (عطية قليلة غير مقدرة) فَاقْبِضْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَمَرْتُ بِهِ غَيْرِي قَالَ: اقْبِضْهُ أَيُّهَا الْمَرْءُ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا فَقَالَ:

هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ (هل لك إذن فيهم و رغبة في دخولهم) وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَ الزُّبَيْرِ وَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَسْتَأْذِنُونَ؟

قَالَ: نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَ جَلَسُوا ثُمَّ جَلَسَ يَرْفَا يَسِيرًا ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ وَ عَبَّاسٍ؟

قَالَ: نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمَا فَدَخَلَا فَسَلَّمَا فَجَلَسَا فَقَالَ عَبَّاسٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَ بَيْنَ هَذَا

وَ هُمَا يَخْتَصِمَانِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ مَالِ بَنِي النَّضِيرِ فَقَالَ الرَّهْطُ عُثْمَانُ وَ أَصْحَابُهُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا وَ أَرْحُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ

قَالَ عُمَرُ: تَيِّدُكُمْ (اسم فعل بمعنى اصبروا و اتندوا) أَنْشُدُكُمْ (أسألكم) بِاللَّهِ الَّذِي يَأْذِنُهُ تَقُومُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «لَا نُورِثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ» يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ؟

قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ: ذَلِكَ فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ وَ عَبَّاسٍ

فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا اللَّهَ أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَا: قَدْ قَالَ ذَلِكَ

قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي أَحَدْتُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ (هذه المسألة وهي العمل في تركة رسول الله ﷺ) إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْفَيْءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرُهُ ثُمَّ قَرَأَ (عمر رضي الله عنه وتتمة الآية): {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} [الحشر: 6] - إِلَى قَوْلِهِ - {قَدِيرٌ} فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ اللَّهِ مَا اخْتَارَهَا دُونَكُمْ (ما جمعها واستأثر بها وحده بل كان لكم منها نصيب) وَلَا اسْتَأْثَرَ (استبد وتخصص) بِهَا عَلَيْكُمْ

قَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَ بَثَّهَا فِيكُمْ (فرقها عليكم) حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَتَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ (الذي هو نصيب رسول الله ﷺ) ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتِهِ أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ وَ عَبَّاسٍ أَنْشَدُكُمَا بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟ قَالَ عُمَرُ: ثُمَّ تَوَقَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيٌّ (وصيه الذي يتولى أموره من بعده) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ فَعَمِلَ فِيهَا مَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ (محسن صادق وفي من البر وهو الإحسان) رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ

ثُمَّ تَوَقَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَكُنْتُ أَنَا وَلِيٌّ أَبِي بَكْرٍ فَقَبَضْتُهَا سَتَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي أَعْمَلُ فِيهَا مَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ مَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ: إِنِّي فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ ثُمَّ جِئْتُمَانِي تَكْثُرَانِي وَ كَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ وَ أَمْرُكُمَا وَاحِدٌ جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ تَسْأَلْنِي نَصِيْبَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ وَ جَاءَنِي هَذَا - يُرِيدُ عَلِيًّا - يُرِيدُ نَصِيْبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا فَقُلْتُ لَكُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُورَثُ مَا تَرَكَتَا صَدَقَةً» فَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا قُلْتُ: إِنَّ شِئْنَمَا دَفَعْتُمَا إِلَيْكُمَا عَلَى أَنْ عَلَيْكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَ مِيثَاقُهُ:

لَتَعْمَلَانِ فِيهَا مَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ مَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَ مَا عَمِلْتُ فِيهَا مِنْذُ وَلِيْتُهَا فَقُلْتُمَا: أَدْفَعُهَا إِلَيْنَا فَبَذَلْتُكَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا فَأَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟ قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَنْشَدُكُمَا بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ قَالَ: فَتَلْتَمَسَانِ (تطلبان) مِرْيَ قَضَاءٍ غَيْرَ ذَلِكَ فَوَاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ فَإِنِّي أَكْفِيكُمَاهَا

*إنما قدر الله هذا التقدير و حصر الفيء في هؤلاء المعينين لـ {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً} {مدوالة و اختصاصا

{بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}) يتصرفون فيها بمحض الشهوات و الاهواء

فإنه لو لم يقدره لتداولته الأغنياء الأقوياء و لما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء

و في ذلك من الفساد ما لا يعلمه إلا الله كما أن في اتباع أمر الله و شرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر و لذلك أمر الله بالقاعدة الكلية و الأصل العام

فقال: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}

*البخارى 4886 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ

(جمع واشمة اسم فاعلة من الوشم وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل منه الدم ثم يحشى الموضع بكحل أو نحوه فيتلون الجلد ولا يزول بعد ذلك أبد)

وَ الْمُوتَشِمَاتِ (جمع موتشمة وهي التي يفعل فيها الوشم) وَ الْمُتَنَمِّصَاتِ

(جمع متنمصاة وهي التي تطلب إزالة شعر وجهها وشفاهها والتي تزيله وتنشفه تسمى نامصة)

وَالْمُتَفَلِّجَاتِ (جمع متفلجة وهي التي تبرد أسنانها لتفترق عن بعضها) لِلْحُسْنِ (لأجل الجمال) الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ (ما سبق ذكره لأنه تغيير وتزوير) فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ (كتابة عن كلام قيل) فَقَالَ:

وَمَا لِي أَلَعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَتْ:-

لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوحَيْنِ (القرآن المكتوب ما بين دفتي المصحف) فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ

قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ أَمَا قَرَأْتَ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7]؟ قَالَتْ: بَلَى قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ

قَالَ: فَأَذْهَبِي فَأَنْظُرِي فَذَهَبَتْ فَتَطَرَّتْ فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا (لم تشاهد أم يعقوب من الذي ظنته في زوج ابن مسعود ﷺ شيئا) فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتَهَا (ما صاحبنا بل كنا نطلقها)

*البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي (اتركوني ولا تسألوني) مَا تَرَكْتُكُمْ إِمَّا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ (كثرة أسئلتهم) وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ (قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه)»

و هذا شامل لأصول الدين و فروعه ظاهره و باطنه و أن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به

و اتباعه و لا تحل مخالفته و أن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى

لا رخصة لأحد و لا عذر له في تركه و لا يجوز تقديم قول أحد على قوله

*ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب و الأرواح و الدنيا و الآخرة و بها السعادة الدائمة و الفوز العظيم و بإضاعتها الشقاء الأبدي و العذاب السرمدي فقال:

{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {على من ترك التقوى و آثر اتباع الهوى 7

و كذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله :-

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ) حقيقون بالإعانة مستحقون لأن تجعل لهم

(الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)

الذين اضطروهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم و أموالهم

قد هجروا المحبوبات و المألوفات من الديار و الأوطان و الأحباب و الخلان و الأموال:-

1-(يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ) يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا

(و) يطلبون (وَرِضْوَانًا) في الآخرة

2-(وَيَنْصُرُونَ) دين (اللَّهِ وَرَسُولَهُ) بالجهاد في سبيل الله

(أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الذين عملوا بمقتضى إيمانهم و صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة و العبادات الشاقة

بخلاف من ادعى الإيمان و هو لم يصدق بالجهاد و الهجرة و غيرهما من العبادات

و بين أنصار (و هم الأوس و الخزرج) الذين آمنوا بالله و رسوله طوعا و محبة و اختيارا

و آووا رسول الله ﷺ و منعوه من الأحمر و الأسود 8

فضل فقراء المهاجرين و الانصار 8-10

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

(الْدَارَ) دار الهجرة (المدينة)

(وَالْإِيمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ) و آمنوا قبل كثير منهم

حتى صارت مؤثلا و مرجعا يرجع إليه المؤمنون و يلجأ إليه المهاجرون

* و يسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب و شرك و شر

فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار حتى انتشر الإسلام و قوى و جعل يزيد شيئا شيئا فشيئا و ينمو

قليلا قليلا حتى فتحو القلوب بالعلم و الإيمان و القرآن و البلدان بالسيف و السنان.

الذين من جملة أوصافهم الجميلة

{يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} و هذا لمحبتهم لله و لرسوله أحبوا أحبابه و أحبوا من نصر دينه.

{وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ} أنفسهم (حَاجَةً) حسدا لهم (مَمَّا أُوتُوا) أعطوا من مال الفىء و غيره

* لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله و خصهم به من الفضائل و المناقب التي هم أهلها

و هذا يدل على سلامة صدورهم و انتفاء الغل و الحقد و الحسد عنها.

و يدل ذلك على أن المهاجرين أفضل من الأنصار لأن الله قدمهم بالذكر

و أخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا فدل على:-

أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار و لا غيرهم و لأنهم جمعوا بين النصرة و الهجرة. و قوله:

{وَيُؤْتِرُونَ} يُقَدِّمُونَ المهاجرين و ذوى الحاجة

(عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) حاجة و فقر

و من أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم و تميزوا بها على من سواهم:-

* الإيثار و هو أكمل أنواع الجود و هو الإيثار بمحاب النفس من الأموال و غيرها و بذلها للغير مع الحاجة

إليها بل مع الضرورة و الخصاصة

* و هذا لا يكون إلا من خلق زكى و محبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها

* الصحيح المسند من أسباب النزول- البخارى 3798 - حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ

فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا» فَقَالَ رَجُلٌ (أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري) مِنَ الْأَنْصَارِ:

أَنَا فَأَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي

فَقَالَ: هَبِّي طَعَامَكَ وَ أَصْبِحِي (أوقدي ونوري) سِرَاجَكَ وَ نَوْمِي صَبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأتُ طَعَامَهَا

وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَ نَوَمَتْ صَبِيانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهُا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفِئَتْ فَجَعَلَ يُرِيَانِهِ

(من الإراءة أي يتظاهران بذلك) أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ (جائعين والطوى ضمور البطن من الجوع)

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]

{وَمَنْ يُوقِ} سَلِمَ (شَحْنَفٍ) بخل و منع الفضل من المال (نَفْسِهِ)

(فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم.

و وقاية شح النفس يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به

* فإنه إذا وقى العبد شح نفسه:-

1- سمحت نفسه بأوامر الله و رسوله ففعلها طائعا منقادا منشراحا بها صدره

2- و سمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه و إن كان محبوبا للنفس تدعو إليه و تطلع إليه

3- و سمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله و ابتغاء مرضاته و بذلك يحصل الفلاح و الفوز

بخلاف من لم يوق شح نفسه بل ابتلى بالشح بالخير الذى هو أصل الشر و مادته

* فهذان الصنفان الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام و الأئمة الأعلام الذين حازوا من السوابق و الفضائل

و المناقب ما سبقوا به من بعدهم

* البخارى- وَ قَالَ عُمَرُ أَوْصَى الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَ يَحْفَظَ لَهُمْ

حُرْمَتَهُمْ وَ أَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا {الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَ أَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ 9

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَنِّلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا أَقْبُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

و لهذا ذكر الله من اللاحقين من هو مؤتم بهم و سائر خلفهم فقال:-

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} من بعد المهاجرين و الأنصار

{يَقُولُونَ} على وجه النصح لأنفسهم و لسائر المؤمنين:-

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا} ذنوبنا {وَلِإِخْوَانِنَا} في الدين {الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}

دليل على :-

- 1-المشاركة في الإيمان و أنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان و أصوله و هم أهل السنة و الجماعة الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم
- 2-و وصفهم بالإقرار بالذنوب و الاستغفار منها و استغفار بعضهم لبعض
- 3-و هذا دعاء شامل لجميع المؤمنين السابقين من الصحابة و من قبلهم و من بعدهم
- 4-و هذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض و يدعو بعضهم لبعض بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض و أن يحب بعضهم بعضا

{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا} حسداً و حقداً-يشمل قليل الغل و كثيره الذى إذا انتفى ثبت ضده

و هو المحبة بين المؤمنين و الموالاة و النصح و نحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

*و اجتهداهم في إزالة الغل و الحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين

لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا

و متضمن لمحبة بعضهم بعضا

*و أن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه

*و أن ينصح له حاضرا و غائبا حيا و ميتا

(لِّلَّذِينَ آمَنُوا) لأحد من أهل الإيمان

{ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }

ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين دالين على كمال رحمة الله و شدة رأفته و إحسانه بهم الذي من جملته بل من أجله توفيقهم للقيام بحقوق الله و حقوق عباده.

*فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة و هم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام.

*هؤلاء أهله الذين هم أهله جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

و في الآية دلالة على:-

1- أنه ينبغي للمسلم أن يذكر سلفه بخير و يدعو لهم

2-و أن يحب صحابة رسول الله ﷺ و يذكرهم بخير و يترضى عنهم **10**

موالة المنافقين لليهود و خذلانهم 11-17

(أَلَمْ تَرَ) ألم تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) كعبد الله بن أبي

(يَقُولُونَ) تطمينا (لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)

من يهود برى النضير في نصرتهم و موالاتهم على المؤمنين:-

{ لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ } لئن أخرجكم محمد و من معه من منازلكم

(لَنَخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا)

سألنا خذلانكم أو ترك الخروج معكم- لا نطيع في عدم نصرتكم أحدا يعذلنا أو يخوفنا

{ وَإِنْ قُوتِلْتُمْ } و لئن قاتلوكم (لَنَنْصُرَنَّكُمْ) لنعاوننكم عليهم

(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ) إن المنافقين

(لَكَذِبُونَ) فيما وعدوا به يهود برى النضير.

و لا يستكثر هذا عليهم فإن الكذب وصفهم و لغرور و الخداع مقارنهم و النفاق و الجبن يصحبهم **11**

و لهذا كذبهم الله بقوله الذي وجد مخبره كما أخبر الله به و وقع طبق ما قال فقال:

{ لَئِنْ أَخْرَجُوا } من ديارهم جلاء و نفيا

{لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ} لمحبتهم للأوطان و عدم صبرهم على القتال و عدم وفائهم بوعدهم .

{وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ} بل يستولى عليهم الجبن و يملكهم الفشل و يخذلون إخوانهم أحوج ما كانوا إليهم.

{وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ} على الفرض و التقدير

{لَيُؤْتِيَنَّكَ الْآدْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ} ليحصل منهم الإدبار عن القتال والنصرة ولا يحصل لهم نصر من الله 12

و السبب الذي أوجب لهم ذلك أنكم - أيها المؤمنون -

{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ}

فخافوا منكم أعظم مما يخافون الله و قدموا مخافة المخلوق الذى لا يملك لنفسه و لا لغيره نفعا و لا ضرا على مخافة الخالق الذي بيده الضر و النفع و العطاء و المنع.

كقوله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: 77]

لذا قال الله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}

مراتب الأمور و لا يعرفون حقائق الأشياء و لا يتصورون العواقب

و إنما الفقه كل الفقه أن يكون خوف الخالق و رجاؤه و محبته مقدمة على غيرها و غيرها تبعاً له 13

{لَا يَقْدِرُونَكُمْ جَمِيعًا}

فى حال الاجتماع-من جنهم و هلعهم لا يقدرّون على مواجهة جيش الاسلام و لا يعزّمون عليه

{إِلَّا فِي قُرَى مُّحَصَّنَةٍ} متحصنين فى القرى

(أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) و أسوار و خنادق

فإنهم إذ ذاك ربما يحصل منهم امتناع اعتماداً على حصونهم و جدرهم لا شجاعة بأنفسهم و هذا من أعظم الذم

{بَأْسُهُمْ} عداوتهم فيما

{بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} عداً

لا آفة في أبدانهم و لا في قوتهم و إنما الآفة في ضعف إيمانهم و عدم اجتماع كلمتهم

و لهذا قال: { **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا** } حين تراهم مجتمعين ومتظاهرين.

{ **و** } لكن

{ **وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى** } متباغضة متفرقة متشتتة.

{ **ذَلِكَ** } الذى أوجب لهم اتصافهم بما ذكر

{ **يَأْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ** }

لا عقل عندهم و لا لب فإنهم لو كانت لهم عقول لآثروا الفاضل على المفضول و لما رضوا لأنفسهم بأبخص الخطتين

و لكانت كلمتهم مجتمعة و قلوبهم مؤتلفة فبذلك يتناصرون و يتعاضدون و يتعاونون على مصالحهم و منافعهم الدينية و الدنيوية. مثل هؤلاء المخذولين من أهل الكتاب الذين انتصر الله لرسوله منهم

و أذاقهم الخزى في الحياة الدنيا و عدم نصر من وعدهم بالمعاونة **14**

{ **كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا** } و هم كفار قريش و يهود برى قينقاع

{ **ذَاقُوا وَبَالَ** } سوء عاقبة { **أَمْرِهِمْ** } كفرهم و عداوتهم لرسول الله ﷺ في الدنيا

فلقد زين لهم الشيطان أعمالهم و قال:

{ **وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** } [الأنفال: 48]

فغرتهم أنفسهم و غرهم من غرهم الذين لم ينفعوهم و لم يدفعوا عنهم العذاب حتى أتوا « **بدرا** » بفخرهم وخيلائهم ظانين أنهم مدركون برسول الله و المؤمنين أمانيتهم. فنصر الله رسوله و المؤمنين عليهم فقتلوا كبارهم و صناديدهم و أسروا من أسروا منهم و فر من فر و ذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شركهم و بغيهم هذا في الدنيا

{ **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } في الآخرة عذاب النار.

و مثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب **15**

{ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ** } و زين و حسن له و دعاه للكفر

فلما اغتر به و كفر و حصل له الشقاء لم ينفعه الشيطان الذي تولاه و دعاه إلى ما دعاه إليه

بل تبرأ منه و { **قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ** }

ليس لى قدرة على دفع العذاب عنك و لست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير.

(إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) 16

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهِ^{١٧} وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَنفَعُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا
 مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
 السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾
 هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

{فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا} الداعى الذي هو الشيطان و المدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه

{أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا} كقوله {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}

الذين اشتركوا في الظلم و الكفر و إن اختلفوا في شدة العذاب و قوته

{وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} (١٧)

التقوى و فوز المتقين و قوة القرآن 21-18

{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَعُوا اللَّهَ}

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان و يقتضيه من لزوم تقواه سرا و علانية في جميع الأحوال
 و أن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره و شرائعه و حدوده

*مسلم -1017 عَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ

قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءٌ عُرَاءٌ مُّجْتَابِي النَّمَارِ (لابسيها خارقين أوساطها مقورين يقال اجتبت القميص أي دخلت فيه والنمار جمع فرة وهي ثياب
 صوف فيها تنمير وقيل هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف)
 أَوْ الْعَبَاءِ (جمع عباءة وعباية لغتان نوع من الأكسية) مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُّضَرٍ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُّضَرٍ فَتَمَعَّرَ (تغير)
 وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ
 {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ [النساء: 1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]

وَ الْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: 18]

«تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعٍ بُرِّهِ مِنْ صَاعٍ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَ لَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»
 قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ

قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ (و الكوم العظيم من كل شيء) مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ (يستنير فرحا وسورا) كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ (و جمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها إثر بعض)

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَ وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»

{وَلْتَنْظُرْ} لتتدبر كل **(نَفْسٌ مَأْقَدَمَةٌ)** من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم **(لغدير)** ليوم القيامة

فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم و قبله قلوبهم و اهتموا بالمقام بها اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها و تصفيتها من القواطع و العوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم *حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا

{وَأَنْتَقُوا اللَّهَ} و إذا علموا أيضا

(إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) لا تخفى عليه أعمالهم و لا تضيع لديه و لا يهملها :- **أوجب لهم الجد و الاجتهاد.** * وهذه الآية الكريمة :-

1- **أصل في محاسبة العبد نفسه** 2- **و أنه ينبغي له أن يتفقدتها**

فإن رأى زللا:-

تداركه بالإقلاع عنه و التوبة النصوح و الإعراض عن الأسباب الموصلة إليه

و إن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله :-

1- **بذل جهده و استعان بربه في تكميله و تميمه و إتقانه**

2- **و يقياس بين ممن الله عليه و إحسانه و بين تقصيره فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة** 18

{وَلَا تَكُونُوا} أيها المؤمنون (كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ) تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم،

{فَأَنسَهُمْ} بسبب ذلك حظوظ

(أَنفُسُهُمْ) من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة

* **و الحرمان كل الحرمان أن يغفل العبد عن هذا الأمر و يشابه قوما نسوا الله و غفلوا عن ذكره و القيام بحقه و أقبلوا على حظوظ أنفسهم و شهواتها فلم ينجحوا و لم يحصلوا على طائل بل أنساهم الله مصالح أنفسهم و أغفلهم عن منافعها و فوائدها فصار أمرهم فرطا فرجعوا بخسارة الدارين و غبنوا غبنا لا يمكنهم تداركه و لا يجبر كسره**

* **فالجزاء من جنس العمل**

{أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

لأنهم هم الفاسقون الذين خرجوا عن طاعة ربهم و أوضعوا في معاصيه

*فهل يستوى من حافظ على تقوى الله و نظر لما قدم لغده فاستحق جنات النعيم و العيش السليم –

مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين –

و من غفل عن ذكر الله و نسى حقوقه فشقى فى الدنيا و استحق العذاب فى الآخرة فالأولون هم الفائزون و الآخرون هم الخاسرون.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: 9]

{ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ }

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجمعة: 21]

{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} هم الناجون المسلمون من عذاب الله 20

(لَو أَنزَلْنَاهَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ) ففهم ما فيه من وعد و وعيد

{لَرَأَيْتَهُ} {لَأَبْصَرْتَهُ عَلَى قُوَّتِهِ وَ شِدَّةِ صَلَابَتِهِ وَ ضَخَامَتِهِ

(خَشِعَ مُتَصَدِّعًا) خاضعًا ذليلاً متشفقاً (مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)

فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ أَلَا تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَ تَخْشَعُ وَ تَتَصَدَّعُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ قَدْ فَهِمْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَ تَدَّبَرْتُمْ كِتَابَهُ؟

لكمال تأثيره في القلوب فإن مواظب القرآن:-

1-أعظم المواظب على الإطلاق

2-و أوامره و نواهيه محتوية على الحكم و المصالح المقرونة بها

3-و هي من أسهل شيء على النفوس

4-و أيسرها على الأبدان خالية من التكلف لا تناقض فيها و لا اختلاف و لا صعوبة فيها و لا اعتساف

5-لا ينصلح المكان و الزمان الا به

6-و تليق لكل أحد

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَذَلُّكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ }

ثم أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال و يوضح لعباده فى كتابه الحلال و الحرام

{لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}

لأجل أن يتفكروا في آياته و يتدبروها فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم و يبين له طرق الخير و الشر

و يحثه على مكارم الأخلاق و محاسن الشيم و يزجره عن مساوئ الأخلاق

فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن و التدبر لمعانيه.

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ} [الرُّعْدُ: 31]

{وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَأَنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ مِنْهُ الْمَاءُ وَأَنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ نَبْرَةً: 74} [21]

أسماء الله الحسنى 22-24

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}

هذه الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنو أوصافه العلى عظيمة الشأن و بديعة

البرهان فأخبر أنه الله المألوه المعبود {الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

و ذلك لكماله العظيم و إحسانه الشامل و تديره العام

و كل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة لأنه فقير عاجز ناقص لا يملك لنفسه و لا لغيره

شيئا

ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل {عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} لما غاب عن الخلق و ما يشاهدونه

{هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} و بعموم رحمته التى وسعت كل شيء و وصلت إلى كل حى.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: 156] وَ قَالَ {كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ} [الأنعام: 54]

ثم كرر ذكر عموم إلهيته و انفراده بها فقال {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ}

و أنه المالك لجميع الممالك فالعالم العلوى و السفلى و أهله الجميع ممالك لله فقراء مدبرون.

(الْقُدُّوسُ) الْمُبَارَكُ - الطاهر - تقدسه الملائكة - المقدس السالم من كل عيب و آفة و نقص المعظم الممجّد لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقصو التعظيم لله في أوصافه و جلاله.

{السَّلَامُ} مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ وَالتَّقَائِصِ؛ بِكَمَالِهِ فِي ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ أَفْعَالِهِ.

(الْمُؤْمِنُ) المصدق لرسله و أنبيائه بما جاءوا به بالآيات البينات و البراهين القاطعات و الحجج الواضحات.

*أَمَّنْ خَلَقَهُ مَنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ-أَوْ صَدَّقَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ بِهِ.

{الْمُهَيِّمُ} الشَّاهِدُ عَلَى خَلْقِهِ بِأَعْمَالِهِمْ مِمَّنْ: هُوَ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ

كَهَوْلِهِ: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [البُرُوج: 9] وَ قَوْلُهُ {ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ} [يُونُس: 46].

(الْعَزِيزُ) الذى لا يغالب و لا يمانع بل قد قهر كل شيء و خضع له كل شيء

(الْجَبَّارُ) الذى قهر جميع العباد و أذعن له سائر الخلق الذى يجبر الكسير و يغني الفقير

*الَّذِي جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ الْمَصْلُحُ أَمْوَرَ خَلْقِهِ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ

(الْمُتَكَبِّرُ) الذى له الكبرياء و العظمة المتنزّه عن جميع العيوب و الظلم و الجور-المتكبر عن كُلِّ سُوءٍ.

*مسلم (2620) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يَنَازِعْنِي عَدْبَتُهُ»

(سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به و عانده **23**

(هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ) لجميع المخلوقات - الْخَلْقُ: التَّقْدِيرُ

(الْبَارِئُ) للمبروءات

وَالْبَرُّ: هُوَ الْفَرِيُّ وَ هُوَ التَّنْفِيزُ وَ إِبْرَازُ مَا قَدَّرَهُ وَ قَرَّرَهُ إِلَى الْوُجُودِ
وَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَدَّرَ شَيْئًا وَ رَبَّهٗ يَقْدِرُ عَلَى تَنْفِيزِهِ وَ إِيْجَادِهِ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(الْمُصَوِّرُ) للمصورات - الَّذِي يُنْقِذُ مَا يُرِيدُ إِيْجَادَهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَرِيدُهَا.

* وهذه الأسماء متعلقة بالخلق و التدبير

و التقدير و أن ذلك كله قد انفراد الله به لم يشاركه فيه مشارك.

أَي: الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُ وَ الصُّورَةِ الَّتِي يَخْتَارُ.
هَوْلِهِ: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الْإِنْشَاءُ: 8]

(لَهُ الْأَسْمَاءُ) له الأسماء الكثيرة جدا التي لا يحصيها و لا يعلمها أحد إلا الله هو

و مع ذلك فوصفها (الْحُسْنَى)

صفات كمال بل تدل على أكمل الصفات و أعظمها لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه

و من حسناتها: -1- أن الله يحبها و يحب من يحبها 2- و يحب من عباده أن يدعوه و يسألوه بها.

و من كماله و أن له الأسماء الحسنى و الصفات العليا:

أن جميع من في السماوات و الأرض مفتقرون إليه على الدوام يسبحون بحمده و يسألونه حوائجهم
فيعطيه من فضله و كرمه ما تقتضيه رحمته و حكمته

*مسلم (2677) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِّنْ حَفِظَهَا (وفي رواية: أحصاها) دَخَلَ الْجَنَّةَ وَ إِنَّ اللَّهَ وَتَرَّ يُحِبُّ الْوَتَرَ»

{يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}

كقوله {يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: 44] {وَهُوَ الْعَزِيزُ} فلا يرام جنبابه {الْحَكِيمُ} في شرعه و قدره

الذي لا يريد شيئا إلا و يكون و لا يكون شيئا إلا لحكمة و مصلحة **24**

60-سورة الممتحنة-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ مِنْ يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾
 إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوَى وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾
 لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾
 قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ^٤مُتَّبِعِينَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾
 رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

*الصحيح الممسند من اسباب النزول -الحاكم 3802 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} إِلَى قَوْلِهِ {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

نَزَلَ فِي مَكَاتِبَةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَ مَنْ مَعَهُ إِلَى كُفَّارٍ قُرَيْشٍ يُحَذِّرُونَهُمْ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ} [الممتحنة: 4] نُهُوا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِاسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فَيَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [الممتحنة: 5]

لَا تُعَذِّبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَ لَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْحَقِّ مَا أَصَابَهُمْ

*البخارى 3007 -عن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ

قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ (موضع بين مكة والمدينة) فَإِنْ بِهَا ظَعِينَةٌ (المرأة في الهودج وقيل المرأة عامة واسمها سارة وقيل كنود)

وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»

فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَاءً (تباعداً وتجارى) حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ

فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا (الشعر المضاف)

فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ

أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا (مضافا إليهم ولست منهم وقيل معناه حليفا ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم)

فِي قُرَيْشٍ وَ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَ كَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ مِمَّكَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ

وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا (نعمة ومنة عليهم) يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي

وَ مَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَ لَا ارْتِدَادًا وَ لَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبَ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ

قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اِطَّلَعَ (نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم) عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ

فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "

(4274-البخارى) فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ

كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} إِلَى قَوْلِهِ {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة: 1]-

ذكر كثير من المفسرين رحمهم الله أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة

حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم

ليتخذ بذلك يدا عندهم لا شكا و نفاقا وأرسله مع امرأة فأخبر النبي ﷺ بشأنه فأرسل إلى المرأة قبل وصولها

وأخذ منها الكتاب. و عاتب حاطبا فاعتذر ﷺ بعذر قبله النبي ﷺ

* وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاته الكفار من المشركين و غيرهم و إلقاء المودة إليهم

وأن ذلك مناف للإيمان و مخالف لملة إبراهيم الخليل عليه السلام و مناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر

من العدو الذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئا و ينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه فقال:-

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

اعملوا بمقتضى إيمانكم من ولاية من قام بالإيمان و معاداة من عاداه فإنه عدو لله وعدو للمؤمنين.

كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: 51]

النهى عن موالاته الكفار و حقيقتهم 1-3

ف—{لَا تَتَّخِذُوا} لا تتخذوا(عَدُوِّي)عدو الله

(وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ)تسارعون

(إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ)و فى السعى بأسبابها

فإن المودة إذا حصلت تبعثها النصرة و الموالاته فخرج العبد من الإيمان و صار من جملة أهل الكفران

و انفصل عن أهل الإيمان. و هذا المتخذ للكافر وليا عادم المروءة أيضا

فإنه كيف يوالى أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر و يخالف ربه و وليه الذي يريد به الخير و يأمره به

و يحثه عليه؟!

{وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}

و مما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق و لا أعظم من هذه

المخالفة و المشاقة فإنهم قد كفروا بأصل دينكم و زعموا أنكم ضلال على غير هدى.

و الحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه و لا مرية

و من رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله بل مجرد العلم بالحق يدل على

بطلان قول من رده و فساده.

و من عداوتهم البليغة أنهم **(يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ)**

أيها المؤمنون من دياركم و يشردونكم من أوطانكم و لا ذنب لكم في ذلك عندهم
* هذا مع ما قبله من التهيج علي عداوتهم و عدم موالاتهم هَذَا مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنَ التَّهْيِيجِ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ
وَعَدَمِ مَوَالَاتِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا الرَّسُولَ وَ أَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ كَرَاهَةً لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَ
إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ

و لِهَذَا قَالَ: **{ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ }**

أَيُّ: لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيمَانُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
هَؤُلَاءِ: **{ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }** [البُرُوج: 8]

{ أَنْ تُؤْمِنُوا } إلا أنكم تؤمنون **(بِاللَّهِ رَبِّكُمْ)**

الذى يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته لأنه رباهم و أنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة و هو الله.
* فلما أعرضوا عن هذا الأمر الذى هو أوجب الواجبات و قتم به عادوكم و أخرجوكم-من أجله-من دياركم
فأي دين و أي مروءة و عقل يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان!!
و لا يمنعهم منه إلا خوف أو مانع قوى.

(إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ) إن كان خروجكم مقصودكم به **(جِهَادًا)** الجهاد **(فِي سَبِيلِي)** لإعلاء كلمة الله

(وَأَبِغَاءَ مَرْضَاتِي) مرضاة الله

فاعملوا بمقتضى هذا من موالات أولياء الله و معاداة أعدائه
فإن هذا هو الجهاد في سبيله و هو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم و يبتغون به رضاه.

(تُسَرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) تسرون المودة للكافرين و تخفونها

(وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ) مع علمكم أن الله عالم بما تخفون و ما تعلنون؟!

فهو وإن خفى على المؤمنين فلا يخفى على الله تعالى و سيجازى العباد بما يعلمه منهم من الخير و الشر

(وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ) موالات الكافرين بعد ما حذركم الله منها

(فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع و للعقل و المروءة الإنسانية **1**

ثم بين تعالى شدة عداوتهم تهيجا للمؤمنين على عداوتهم

(إِنْ يَشْفَوْكُمْ) يجدوكم و تسنح لهم الفرصة فى أذاكم

(يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً) ظاهرين

(وَيَسْطُورُ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتل و الضرب ونحو ذلك.

(وَالسِّنَنُ السُّوءُ) بالقول الذي يسوء من شتم و غيره

(وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) فإن هذا غاية ما يريدون منكم 2

{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ} قَرَابَاتُكُمْ وَ لَوْ كَانَ قَرِيبًا إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

(يَوْمَ الْقِيَمَةِ)

لَا تَنْفَعُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ سُوءًا وَ نَفَعُهُمْ لَا يَصِلُ إِلَيْكُمْ إِذَا أَرْضَيْتُمُوهُمْ بِمَا يُسَخِطُ اللَّهُ وَ مَنْ وَافَقَ أَهْلَهُ عَلَى الْكُفْرِ لِيُضَيِّعَهُمْ فَقَدْ خَابَ وَ خَسِرَ وَ ضَلَّ عَمَلُهُ وَ لَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ قَرَابَتُهُ مِنْ أَحَدٍ.

* مسلم -203 عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي؟

قَالَ: «فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَى (أعطاه قفاه وظهره) دَعَاهُ فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَ أَبَاكَ فِي النَّارِ»

—فإن احتججتم وقتلتم: نوالى الكفار لأجل القرابة و الأموال فلن تغري عنكم أموالكم ولا أولادكم من الله شيئا

{يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ} يفرق (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) 3

فلذلك حذرکم من موالاة الكافرين الذين تضركم موالاتهم

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ) يا معشر المؤمنين

(أُسْوَةٌ) قدوة صالحة و انتمام ينفعكم

(حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا

(إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَ مِنْكُمْ)

إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام و من معه من المؤمنين من قومهم المشركين

(وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح فقالوا:—

(كُفَرْنَا) جحدنا (بِكُمْ) فلم نعترف لكم بقرابة و لا ولاء.

(وَبَدَأَ) ظهر و بان (من البدؤ و ليس بدأ من الابتداء)

(يَبْنِئْنَ وَيَبْنِئُكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ) البغض بالقلوب و زوال مودتها و العداوة بالأبدان

و ليس لتلك العداوة و البغضاء وقت و لا حد بل ذلك

(أَبَدًا) ما دمتم مستمرين على كفركم

(حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ) ستستمر عداوتنا لكم و بغضنا إلى غاية إيمانكم بالله وحده.

فإذا آمنتم بالله وحده زالت العداوة و البغضاء و انقلبت مودة و ولاية
فلکم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم و من معه في القيام بالإيمان و التوحيد و القيام بلوازم ذلك
و مقتضياته و في كل شيء تعبدوا به لله وحده
(**لَا**) في خصلة واحدة و هي:-

(**قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ**) آزر المشرك الكافر المعاند حين دعاه إلى الإيمان و التوحيد فامتنع فقال إبراهيم:-

(**لَا سَغْفِرَ لَكَ وَ**) الحال أنى لا (**وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ**)

لكني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا
*فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك فليس لكم أن تدعوا للمشركين
و تقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ 13 وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}** [التوبة: 113 114]
و لكم أسوة حسنة في إبراهيم و من معه حين دعوا الله و توكلوا عليه و أنابوا إليه و اعترفوا بالعجز
و التقصير فقالوا:

(**رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا**) اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا و دفع ما يضرنا و وثقنا بك يا ربنا في ذلك.

(**وإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ**) رجعنا إلى طاعتك و مرضاتك و جميع ما يقرب إليك

{ **وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** } و نعلم أنا إليك نصير فسنستعد للقدوم عليك و نعمل ما يقرينا الزلفى إليك .

(**رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا**)

لا تسلطهم علينا بذنوبنا فيفتنونا و يمنعونا مما يقدرن عليه من أمور الإيمان و يفتنون أيضا بأنفسهم
فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة ظنوا أنهم على الحق و أنا على الباطل فازدادوا كفرا و طغيانا

(**وَأَغْفِرْ لَنَا**) ما اقترفنا من الذنوب و السيئات و ما قصرنا به من المأمورات

(**رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ**) القاهر لكل شيء

(**الْحَكِيمُ**) الذى يضع الأشياء مواضعها

فبعزتک و حکمتک انصرنا على أعدائنا و اغفر لنا ذنوبنا و أصلح عيوبنا 5

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾
 ﴿٧﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةَ اللَّهِ فَذِيرُوا اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
 وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ مَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ
 الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجِرَتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ
 وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا إِلَّكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
 وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوَا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا
 وَأَنفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثم كرر الحث لهم على الاقتداء بهم فقال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

و ليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة و إنما تسهل على (لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)

فإن الإيمان و احتساب الأجر و الثواب :-

1-يسهل على العبد كل عسير و يقلل لديه كل كثير 2-و يوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين

(وَمَن يَتَوَلَّ) عن طاعة الله و التأسي برسل الله فلن يضر إلا نفسه و لا يضر الله شيئاً

(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه

(الْحَمِيدُ) فى ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله فإنه محمود على ذلك كله 6

ف— (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةَ اللَّهِ) سببها رجوعهم إلى الإيمان

(وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على كل شئ و من ذلك هداية القلوب و تقليبها من حال إلى حال

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لا يتعاضمه ذنب أن يغفره و لا يكبر عليه عيب أن يستره

{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: 53]

و في هذه الآية إشارة و بشارة إلى إسلام بعض المشركين الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين وقد وقع ذلك

*كما امتن الله على الانصار فقال { **وَاذْكُرُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَاءَ فَاَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ اِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَاَنْقَذَكُمُ** } [آل عمران: 103]

و كقول النبي ﷺ في البخارى-4330 يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي وَ عَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي **7**

و لما نزلت هذه الآيات الكريمات المهيجة على عداوة الكافرين وقعت من المؤمنين كل موقع و قاموا بها أتم القيام و تأثموا من صلة بعض أقاربهم المشركين و ظنوا أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه. فأخبرهم الله أن ذلك لا يدخل في المحرم فقال:-

(**لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ**) عن البر و الصلة و المكافاة بالمعروف و القسط

(**عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**) للمشركين من أقاربكم و غيرهم حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم فى الدين (**وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ**) فليس عليكم جناح { **أَنْ تَبْرُوهُمْ** } تحسنوا اليهم

{ **وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ** } تعدلوا

*البخارى 5978- عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا: { **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**

{ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** }

إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم و أفعالهم.

*أحمد -6492 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ " الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَ مَا وَلُّوا "

فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها و لا مفسدة كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان

ولدهما مسلما: { **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** } [لقمان: 15] **8**

(**إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ**) لأجل دينكم عداوة لدين الله و لمن قام به

(**وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَنُّوهُمُ**) عاونوا غيرهم

(**عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ**) نهاكم الله

(**أَنْ تَوَلَّوْهُمْ**) بالمودة و النصرة بالقول و الفعل

و أما بركم و إحسانكم الذي ليس بتول للمشركين فلم ينهاكم الله عنه

بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب و غيرهم من الآدميين و غيرهم.

(**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) ذلك الظلم يكون بحسب التولى ..

أحكام علاقة المسلمين بالكفار 8-9

فإن كان توليا تاما صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام و لا تحت ذلك من المراتب ما هو غليظ و ما هو دون ذلك.

قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

أحكام النساء المهاجرات و مبايعتهن 10-12

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51] 9

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ) من دار الكفر إلى دار الإسلام

(فَأَمْتَحِنُوهُنَّ)

فَأَسْأَلُوهُنَّ: عَمَّا جَاءَ بِهِنَّ؟

* فَإِنْ كَانَ بِهِنَّ غَضَبٌ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ سَخَطَةٌ أَوْ غَيْرُهُ وَلَمْ يُؤْمِنَنَّ فَارْجِعُوهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ.
* يَقُولُ لَهَا: مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ وَمَا جَاءَ بِكَ عَشْقُ رَجُلٍ مِنَّا وَلَا فِرَارٌ مِنْ زَوْجِكَ؟
وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَتْ مَحْنَتُهُنَّ أَنْ يُسْتَحْلَفْنَ بِاللَّهِ: مَا أَخْرَجَكُنَّ النَّشُورُ؟
وَمَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حُبُّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَحِرْصٌ عَلَيْهِ؟ فَإِذَا قُلْنَ ذَلِكَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ.
فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية.

(اللَّهُ أَعْلَمُ) بحقيقة (بِإِيمَانِهِنَّ)

لما كان صلح الحديبية صالح النبي ﷺ المشركين على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلما أنه يرد إلى المشركين و كان هذا لفظا عاما مطلقا يدخل في عمومها النساء و الرجال

* فأما الرجال فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم إلى المشركين وفاء بالشرط و تميمها للصلح الذي هو من أكبر المصالح

* و أما النساء فلما كان ردهن فيه مفسد كثيرة أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات و شكوا ففى صدق إيمانهن أن يمتحنوهن و يختبروهن بما يظهر به صدقهن من أيمان مغلظة وغيرها
فإن كن بهذا الوصف تعين ردهن وفاء بالشرط من غير حصول مفسدة

(فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) إن امتحنوهن فوجدن صادقات أو علموا ذلك منهن من غير امتحان

(فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ)

فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يُكِنُّ الْإِطْلَاعُ عَلَيْهِ يَقِينًا

(لَا مِنْ جِلٍّ لَهُمْ) لا يحلُّ لهن أن يتزوجن الكفار (وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) ولا يحلُّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات

هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي حَرَّمَتِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ كَانَ جَائِزًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُشْرِكُ الْمُؤْمِنَةَ وَلِهَذَا كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
وَقَدْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ بَعَثَتْ أُمُّرَاتُهُ زَيْنَبَ فِي فِدَائِهِ
بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِأُمِّهَا خَدِيجَةَ فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رَقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ:-

"إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُوَلِّقُوا لَهَا أَسِيرَهَا فَافْعَلُوا" فَفَعَلُوا فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ ابْنَتَهُ إِلَيْهِ فَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ وَصَدَقَهُ فِيمَا وَعَدَهُ وَبَعَثَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﷺ فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ وَفْعَةِ بَدْرٍ وَكَانَتْ سَنَةً اثْنَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَسْلَمَ زَوْجُهَا الْعَاصُ بْنُ الرَّبِيعِ سَنَةً ثَمَانٍ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ وَ لَمْ يُحْدِثْ لَهَا صَدَاقًا كَمَا قَالَ أَبِي دَاوُدَ 2240:-

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَدَّ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ ابْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ هَجَرَتْهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِ بِسِتِّ سِنِينَ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ وَ لَمْ يُحْدِثْ شَهَادَةً وَ لَا صَدَاقًا (وَأَتَوْهُمْ) أعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل (مَا أَنْفَقُوا) عليهن من المهور

(وَلَا جُنَاحَ) لا إثم (عَلَيْكُمْ أَنْ نَكَحُوهُنَّ) تتزوجوهن (إِذَا عَلِمْتُمُوهُنَّ) دفعتم لهنَّ (الْجُورَ) مهورهن
و كما أن المسلمة لا تحل للكافر فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها غير أهل الكتاب

و لهذا قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا بَعْضَهُنَّ) بنكاح أزواجكم (الْكُوفَرِ) الكافرات

إذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهى عن ابتداء تزويجها أولى

*البخاري -2731 في الحديث ان رسول الله لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية ثم جاءه نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ فَامْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة: 10]
حَتَّى بَلَغَ بَعْضُ الْكُوفَرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَ الْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ

(وَسْأَلُوا) اطلبوا من المشركين (مَا أَنْفَقْتُمْ) من مهور نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم

(وَلَيْسَ لَكُمْ) ليطلبوا هم (مَا أَنْفَقُوا) من مهور نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن و لحقن بكم

(ذَلِكَ) الـ (حُكْمٌ) الذى ذكره (اللَّهُ) و بينه لكم (يَحْكُمُ) به (يَتَكَلَّمُ)

* فِي الصُّلْحِ وَ اسْتِثْنَاءِ النِّسَاءِ مِنْهُ وَ الْأَمْرُ بِهَذَا كُلُّهُ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فيعلم تعالى ما يصلح لكم من الأحكام و يشرع لكم ما تقتضيه الحكمة .

* و فى هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم فإذا أفسد مفسد نكاح امرأة رجل برضاع أو غيره كان عليه ضمان المهر 10

(وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) بأن ذهبن مرتدات

(فَعَاقِبْتُمْ) فغزوتهم و غنمتهم

(فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) مَهْرَ مِثْلِهَا

كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين فمن ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار و فاتت عليه لزم أن يعطيه المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفق .

* وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار و لم يعطكن الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن،
ثم ظفرتن بهؤلاء الكفار أو غيرهم و انتصرتن عليهم فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهن من المسلمين من
الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك
أَقَرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ فَأَدَّوْا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى نِسَائِهِمْ
وَ أَبِي الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقْرَءُوا بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَدَاءِ نَفَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ

(وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)

فإيمانكم بالله يقتضى منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام 11

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ بَايَعَهُنَّ
وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

61-سورة الصف-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوعِينَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَاتِلُوا
لَمْ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

{يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ}

*البخارى 2713 - قَالَ عُرْوَةُ رضي الله عنه: فَأَخْبَرَنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة: 10] إِلَى {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الممتحنة: 12]

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْهُنَّ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ بَايَعْتُكِ»
كَلَامًا يَكْلُمُهَا بِهِ وَ اللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ وَمَا بَايَعَهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ

*الترمذى 1597 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعَ أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ

تَقُولُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي نِسْوَةٍ فَقَالَ لَنَا: «فِيهَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ»

قُلْتُ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعْنَا -

قَالَ سُفْيَانُ: تَعَرَّى صَافِحَنَا - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَهَوْلِي لِمِائَةِ وَاحِدَةٍ»

*البخارى 4892 - عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْنَا:

{أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} [الممتحنة: 12] «وَنَهَانَا عَنِ النِّيَاحَةِ» فَقَبَضَتْ امْرَأَةٌ يَدَهَا

فَقَالَتْ: أَسْعَدْتَنِي (قامت معي في نياحة لى) فَلَانَهُ أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا

فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ شَيْئًا فَانْطَلَقَتْ وَ رَجَعَتْ فَبَايَعَهَا

*البخارى 4895 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

شَهِدْتُ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ عُثْمَانُ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيَهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ يَخْطُبُ

بَعْدَ فَنَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجْلِسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ يَشْقُهُمْ حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ مَعَ بِلَالٍ

فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا

يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} [الممتحنة: 12]

حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَعَ: «أَنْتَ عَلَى ذَلِكَ؟»

فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ - لَا يَدْرِي الْحَسَنُ مِنْ هِيَ - قَالَ: «فَتَصَدَّقَن»
وَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ فَجَعَلَن يُلْقِينَ الْفَتَحَ وَالْحَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ
*أحمد 6850 - عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ:

جَاءَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ تَبَايَعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ
فَقَالَ: «أَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكَ
وَلَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَلَا تَتَوَحَّى وَلَا تَبْرَجِي تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»
*البخاري 18 - عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَ حَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي» (عامدون) عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا
وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ (كذب فطبع يدهش سامعه) تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ
(من عند أنفسكم) وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ (لا تخالفوا في أمر لم ينه عنه الشرع) فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ
ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ (نفذت عليه عقوبته من حد أو غيره) فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ
اللَّهُ (لم يصل أمره إلى القضاء) فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ «فَبَايَعَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ

هذه الشروط المذكورة في هذه الآية تسمى «مبايعة النساء» (اللائي كن يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة التي تجب على الذكور و النساء في جميع الأوقات.

* و أما الرجال فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم و مراتبهم و ما يتعين عليهم فكان النبي ﷺ يمثل ما أمره الله به

فكان إذا جاءته النساء يبايعنه و التزم بهذه الشروط بايعهن و جبر قلوبهن و استغفر لهن الله فيما يحصل منهن من التقصير و أدخلهن في جملة المؤمنين

(عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا) بأن يفردن الله وحده بالعبادة.

{وَلَا يَسْرِقَنَّ} أَمْوَالِ النَّاسِ الْأَجَانِبِ

فَإِذَا كَانَ الزَّوْجُ مُقَصِّرًا فِي نَفَقَتِهَا فَلَهَا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أَمْثَالِهَا
وَ إِنْ كَانَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ عَمَلًا بِحَدِيثِ هِنْدَ بِنْتِ عُبَّةَ

*البخاري 2211 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ هِنْدُ أُمُّ مَعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ (بخيل مع الحرص) فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ (إثم) أَنْ أَخْذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا (دون علمه وإذنه)؟
قَالَ: «خُذِي أَنْتِ وَ بَنُوكِ مَا يَهْكِيكَ بِالْمَعْرُوفِ» (حسب عادة الناس في نفقة أمثالك وأمثال أولادك)

(وَلَا يَزْنِينَ) كما كان ذلك موجودا كثيرا في البغايا و ذوات الأخدان

كقوله { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء: 32]

*البخاري 7047- سَمُرَةُ بِنْتُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا».....
قَالَ: «فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رَجَالٌ وَ نِسَاءٌ عُرَاةٌ وَ إِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ
فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا» قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ "

قَالَ: قَا لَآلِي: اَنْطَلِقْ اَنْطَلِقْ.....

وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ الثَّنُورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي

(وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ) كما يجري لنساء الجاهلية الجهلاء-خوفا من الاملاق (الفقر)-و يعم قتله و هو جنين

(وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَنٍ يَّقْرِئُهُ بَيْنَ أَيدِيْهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ) يلحقن بأزواجهن أولادا-و البهتان: الافتراء على الغير

لا يفترين بكل حالة سواء تعلقت بهن و أزواجهن أو سواء تعلق ذلك بغيرهم

(وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) لا يعصينك في كل أمر تأمرهن به

لأن أمرك لا يكون إلا بمعروف و من ذلك طاعتهن لك في النهي عن النياحة و شق الثياب و خمش الوجوه و الدعاء بدعاء الجاهلية.

(فَبَايِعْهُنَّ) إذا التزمن بجميع ما ذكر.

(وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ) عن تقصيرهن و تطييبا لخواطرن

(إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ) كثير المغفرة للعاصين و الإحسان إلى المذنبين التائبين

تأكيد النهي عن موالة الكفار

(رَّحِيمٌ) وسعت رحمته كل شيء و عم إحسانه البرايا 12

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) إن كنتم مؤمنين بربكم و متبعين لرضاه و مجانبين لسخطه

(لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا) لا تتخذوا الذين (غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) لكفرهم [أصدقاء و أخلاء]-شامل لجميع أصناف الكفار

(قَدْ يَيْسُوا) حرموا (مِنْ) خير (الْآخِرَةِ)

فليس لهم منها نصيب فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم و كفرهم فتحرموا خير الآخرة كما حرموا.

(كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)

-حين أفضوا إلى الدار الآخرة و وقفوا على حقيقة الأمر و علموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها.

-و يحتمل أن المعنى:

1-قد يئسوا من الآخرة أى: قد أنكروها و كفروا بها فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله

و موجبات عذابه و إياسهم من الآخرة

2-كما يئس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى.

3- مَعْنَاهُ: كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ هُمْ فِي الْقُبُورِ مَنْ كُلِّ خَيْرٍ.

4-كَمَا يَيْسُ هَذَا الْكَافِرُ إِذَا مَاتَ وَ عَايَنَ ثَوَابَهُ وَ اَطَّلَعَ عَلَيْهِ 13

تفسير سورة الصف-مدنية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

*السنن الكبرى للبيهقي 18499 -عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا:

لَوْ أَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولٍ مِّنْكُمْ يَسْأَلُهُ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ. قَالَ: فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَّا وَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْلَيْكَ النَّفَرَ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى جَمَعَهُمْ وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ السُّورَةُ: سَبَّحَ لِلَّهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّهَا

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

و هذا بيان لعظمته تعالى و قهره و ذل جميع الخلق له تبارك و تعالى و أن جميع من فى السماوات و الأرض يسبحون بحمد الله و يعبدونه و يسألونه حوائجهم

(وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي قهر الأشياء بعزته و سلطانه

(الْحَكِيمُ) فى خلقه و أمره 1

(يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا) الخير و تحثون عليه و ربما تمدحتم به

(مَا لَا تَفْعَلُونَ) و أنتم لا تفعلونه و تنهون عن الشر و ربما نزهتم أنفسكم عنه و أنتم متلوثون به و متصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟

*البخارى -33 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَ إِذَا أُوْتِيَ خَانَ "

*البخارى -34 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى

يَدَعَهَا: إِذَا أُوْتِيَ خَانَ وَ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَ إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ 2

{كَبُرَ مَقْتًا} بغضا

(عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)

أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟

و لهذا ينبغى للأمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة و للناهى عن الشر أن يكون أبعد الناس منه

قال تعالى {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: 44]

وقال شعيب رضي الله عنه: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} [هود: 88] 3

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ)

هذا حث من الله لعباده على الجهاد فى سبيله و تعليم لهم كيف يصنعون

(صَفًا كَانَهُمْ مُّبْتَلَيْنَ مَرَّضُوصٍ) ينبغى لهم أن يصفوا فى الجهاد صفا متراصا متساويا من غير خلل

و تكون صفوفهم على نظام و ترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين و التعاضد و إرهاب العدو و تنشيط بعضهم بعضا

و لهذا كان النبي ﷺ إذا حضر القتال صف أصحابه و رتبهم في مواقفهم بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض

بل تكون كل طائفة منهم مهمة بمركزها و قائمة بوظيفتها و بهذه الطريقة تتم الأعمال و يحصل الكمال 4
(وَلَاذَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) موبخا لهم على صنيعهم و مقررعا لهم على أذيته و هم يعلمون أنه رسول الله: -

(لَمْ تُوْذُوْنِي) بالأقوال و الأفعال

(وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)

-و الرسول من حقه الإكرام و الإعظام و الانقياد بأوامره و الابتدار لحكمه.

-و أما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق فوق كل إحسان بعد إحسان الله

ففي غاية الوقاحة و الجراءة و الزيف عن الصراط المستقيم الذي قد علموه و تركوه

*البخارى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ:

مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ:

«رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا [الأحزاب: 69]

و لهذا قال: (فَلَمَّا زَاغُوا) انصرفوا عن الحق بقصدهم

(أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) عن الهدى و أسكنها الشك و الحيرة و الخذلان عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه

لأنفسهم و رضوه لها لأنهم لا يليق بهم الخير و لا يصلحون إلا للشر

{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [الأنعام: 110]

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الذين لم يزل الفسق وصفا لهم لا لهم قصد في الهدى

و هذه الآية الكريمة تفيد أن: -

إضلال الله لعباده ليس ظلما منه و لا حجة لهم عليه و إنما ذلك بسبب منهم

فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال و الزيف الذي

لا حيلة لهم في دفعه و تقليب القلوب عقوبة لهم وعدلا منه بهم 5

وَلَمَّا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ لَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَى تَحَرُّفٍ تُجِيعُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ الْمَلَأَ الْحَوَارِيُّونَ فَخُنْ أَنْصَارُ اللَّهِ فَامْنَتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى مخبرا عن عناد بني إسرائيل المتقدمين الذين دعاهم عيسى ابن مريم عليه السلام و قال لهم:

(وَلَمَّا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ)

أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير و أنهاكم عن الشر و أيدني بالبراهين الظاهرة

و مما يدل على صدقي كونه **(إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ)**

جئت بما جاء به موسى من التوراة و الشرائع السماوية

و لو كنت مدعيا للنبوّة لجئت بغير ما جاءت به المرسلون و مصدقا لما بين يدي من التوراة أيضا أنها:-

أخبرت بى و بشرت فجئت و بعثت مصدقا لها

(وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبی الهاشمي.

فعيسى عليه السلام كالأنبياء يصدق بالنبي السابق و يبشر بالنبي اللاحق

بخلاف الكذابين فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة و يخالفونهم في الأوصاف و الأخلاق و الأمر و النهى

* البخارى 4896 - عن مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:-

«إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ

وَ أَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ»

-لهذا قال الله { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا

بِهِ وَعَزَّوْهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف: 157]

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران: 80 81]

المعجم الكبير 7729 - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بُدُوَ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ) محمد ﷺ الذي بشر به عيسى

(وَالْبَيِّنَاتِ) الأدلة الواضحة الدالة على أنه هو و أنه رسول الله حقا

(قَالُوا) معاندين للحق مكذبين له

(هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) وهذا من أعجب العجائب الرسول الذي قد وضحت رسالته و صارت أبين من شمس النهار يجعل ساحرا بينا سحره فهل في الخذلان أعظم من هذا؟

و هل في الافتراء أعظم من هذا الافتراء الذي نفى عنه ما كان معلوما من رسالته و أثبت له ما كان أبعد الناس

منه؟ 6

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) لا احد اظلم من الذي جعل له شركاء في عبادته

— بهذا و غيره و الحال أنه لا عذر له و قد انقطعت حجته

لأنه (وَهُوَ يَدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ) و إخلاص العبادة لله وحده

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و الشرك إلى ما فيه فلاحهم

الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين لا تردهم عنه موعظة و لا يزرهم بيان و لا برهان

خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقاولة الحق ليردوه و لينصروا الباطل 7

و لهذا قال الله عنهم:

(يُرِيدُونَ) أي المشركون بكذبهم على الله و تشويه الدعوة الإسلامية و محاربتهم لأهلها

(لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ) إطفاء نور الله "القرآن" و ما يحويه من نور و هداية

(بِأَفْوَاهِهِمْ) بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة التي يردون بها الحق و هى لا حقيقة لها

بل تريد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: 33]

(وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) مظهر الحق بإتمام دينه

قد تكفل الله بنصر دينه و إتمام الحق الذي أرسل به رسله و إشاعة نوره على سائر الأقطار

(وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)

الجاحدون المكذَّبون و بذلوا بسبب كراحتهم كل سبب يتوصلون به إلى إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون.
و صاروا بمنزلة من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها

فلا على مرادهم حصلوا و لا سلمت عقولهم من النقص و القدح فيها **8**

ثم ذكر سبب الظهور و الانتصار للدين الإسلامى الحسى و المعنوى فقال:-

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى)

بالعلم النافع و العمل الصالح بالعلم الذي يهدى إلى الله و إلى دار كرامته و يهدى لأحسن الأعمال
و الأخلاق و يهدى إلى مصالح الدنيا و الآخرة.

(وَدِينُ الْحَقِّ) الدين الذى يدان به و يتعبد لرب العالمين الذي هو حق و صدق لا نقص فيه و لا خلل يعتريه

بل أوامره :-غذاء القلوب و الأرواح و راحة الأبدان

و ترك نواهيه :-سلامة من الشر و الفساد

فما بعث به النبي ﷺ من الهدى و دين الحق أكبر دليل و برهان على صدقه و هو برهان باق ما بقى الدهر
كلما ازداد العاقل تفكرا ازداد به فرحا و تبصرا.

(يُظْهِرُهُ) ليعليه

(عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على سائر الأديان بالحجة و البرهان و يظهر أهله القائمين به بالسيف و السنان

(وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

فأما نفس الدين فهذا الوصف ملازم له في كل وقت فلا يمكن أن يغالبه مغالب أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه
و بلسه و صار له الظهور و القهر

و أما المنتسبون إليه فإنهم إذا قاموا به و استناروا بنوره و اهتموا بهديه فى مصالح دينهم و دنياهم فكذلك

لا يقوم لهم أحد و لا بد أن يظهروا على أهل الأديان

و إذا ضيعوه و اكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه لم ينفعهم ذلك و صار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء

عليهم و يعرف هذا من استقرأ الأحوال و نظر فى أول المسلمين و آخرهم **9**

أسس التجارة الربحية 14-10

(يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه

(هَلْ أَدُلُّكُمْ) أرشدكم **(عَلَى)** إلى **(يُخْرِفُ)** عظيمة الشأن **(تُجِيزُكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ)** من عذاب موجه؟

و أتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر و يسمو إليه كل لبيب فكأنه قيل:-

ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟

فقال **(تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)** تداومون على إيمانكم بالله ورسوله

و من المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به المستلزم لأعمال الجوارح و من أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله

فلهذا قال: **(وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** لنصرة دينه **(بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)** بما تملكون من الأموال و الأنفس بأن تبذلوا نفوسكم و مهجكم لمصادمة أعداء الإسلام و القصد نصر دين الله و إعلاء كلمته و تنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب فإن ذلك و لو كان كريها للنفوس شاقا عليها فإنه **(ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ)** من تجارة الدنيا **(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** مضارّ الأشياء و منافعها فامتثلوا ذلك

فإن فيه:-

1-الخير الدنيوى من النصر على الأعداء و العز المنافى للذل

2-و الرزق الواسع

3-و سعة الصدر و انشراحه.

4-و فى الآخرة الفوز بثواب الله و النجاة من عقابه **31**

و لهذا ذكر الجزاء في الآخرة فقال:- **(يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)**

و هذا شامل للصغائر و الكبائر فإن الإيمان بالله و الجهاد فى سبيله مكفر للذنوب و لو كانت كبائر.

(وَيَذِلُّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) من تحت مساكنها و قصورها و غرفها و أشجارها أنهار —ن:-

ماء غير آسن -و أنهار من **لبن** لم يتغير طعمه-و أنهار من **خمر** لذة للشاربين-و أنهار من **عسل مصفى** و لهم فيها من كل الثمرات

(وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ)

سميت بجنة عدن لأن أهلها مقيمون فيها لا يخرجون منها أبدا و لا يرضون بديلا عنها

*جمعت كل طيب من علو و ارتفاع و حسن بناء و زخرفة

*حتى إن أهل الغرف من أهل عليين يتراءى لهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدرى في الأفق الشرقي

أو الغربى

*و حتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب و بعضه من لبن فضة و خيامها من اللؤلؤ و المرجان

*و بعض المنازل من الزمرد و الجواهر الملونة بأحسن الألوان

*حتى إنها من صفاتها يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها

و فيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين و لا خطر على قلب أحد من العالمين لا يمكن أن يدركوه حتى يروه و يتمتعوا بحسنه و تفر أعينهم به

*فى تلك الحالة لولا أن الله خلق أهل الجنة و أنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم لأوشك أن يموتوا من الفرح فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه
*و فوق ما يشرى عليه عباده وتبارك الجليل الجميل الذي أنشأ دار النعيم و جعل فيها من الجلال و الجمال ما يبهر عقول الخلق و يأخذ بأفئدتهم. و تعالى من له الحكمة التامة التي من جملتها:-
أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها و نظروا إلى ما فيها من النعيم
-لما تخلف عنها أحد

-و لما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة المشوب نعيمها بألمها و سرورها بترحها.

(ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ذلك الثواب الجزيل و الأجر و الفوز العظيم الذي لا فوز مثله فهذا الثواب الأخرى 12
و أما الثواب الدنيوي لهذه التجارة فذكره بقوله:-

(و) يحصل لكم خصلة (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا)

و هى: (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ) لكم على الأعداء يحصل به العز و الفرح

(وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) عاجل -تتسع به دائرة الإسلام و يحصل به الرزق الواسع

فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين

و أما المؤمنون من غير أهل الجهاد إذا قام غيرهم بالجهاد فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله و إحسانه
كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُم وَيُخْلِفْ بِأَقْدَامِكُمْ} [محمد: 7]

بل قال: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالثواب العاجل و الآجل كل على حسب إيمانه

و إن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله كما قال النجاشي:

في البخارى - 2790 قال النبي ﷺ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ

فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَ أَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ 13

ثم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ)

بالأقوال و الأفعال و ذلك بالقيام بدين الله و الحرص على إقامته على الغير و جهاد من عانده و نابذه
بالأدان و الأموال

و من نصر الباطل بما يزعمه من العلم و رد الحق بدحض حجته و إقامة الحجة عليه و التحذير منه .
و من نصر دين الله تعلم كتاب الله و سنة رسوله و الحث على ذلك و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .
ثم هيج الله المؤمنين بالافتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله:-

(كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ) قال لهم عارضا و منهضا

(مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) من يعاوني و يقوم معي فني نصرتي لدين الله و يدخل مدخلي و يخرج مخرجي؟

فابتدر الحواريون (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)

فمضى عيسى عليه السلام على أمر الله و نصر دينه هو و من معه من الحواريين

*أبي داود 4734 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزُضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنْ قَرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي»

(فَأَمَنْتَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَئِيلَ) بسبب دعوة عيسى والحواريين

(وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ) منهم فلم ينقادوا لدعوتهم

فجاهد المؤمنون الكافرين (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ) قويناهم و نصرناهم عليهم.

(فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) ببعثة محمد ﷺ عليهم و قاهرين لهم

فأنتم يا أمة محمد كونوا أنصار الله و دعاة دينه ينصركم الله كما نصر من قبلكم و يظهركم على عدوكم.

*الطبري 34066-نسائي كبرى 11527 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي بَيْتٍ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقِي شَبَهِي عَلَيْهِ فَيَقْتُلَ مَكَانِي فَيَكُونُ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي؟

فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحَدِهِمْ سِنًا فَقَالَ: أَنَا فَقَالَ: اجْلِسْ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ

فَقَالَ: أَنَا فَقَالَ: اجْلِسْ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ الثَّالِثَةَ فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ أَنْتَ

فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ رُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَةِ كَانَ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ

وَ جَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّابَّ لِلشَّبهِ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ

فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ :-

1-فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ

2-وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ

3-وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ

فَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ

مُحَمَّدًا ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَأَمَنْتَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَئِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ} [الصف: 14]

يَعْرِى الطَّائِفَةُ الَّتِي كَفَرَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الطَّائِفَةُ الَّتِي آمَنْتْ فِي زَمَانِ عِيسَى

{فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ} [الصف: 14] بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: 14]

*مسلم (1920) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ (يعني من خالفهم) حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ

كَذَلِكَ» 14

62-سورة الجمعة-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
 مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾
 وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
 بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا
 إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ
 أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ أَلَمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ
 تَارِدُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ) يسبح لله و ينقاد لأمره و يتألهه و يعبد

تسبيح الله و مهمة النبي ﷺ 4-1

(مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) جميع ما في السماوات و الأرض

لأنه (الْمَلِكِ) الكامل الملك الذي له ملك العالم العلوى و السفلى فالجميع ممالكه و تحت تدبيره

(الْقُدُّوسِ) المعظم المنزه عن كل آفة و نقص

(الْعَزِيزِ) القاهر للأشياء كلها

(الْحَكِيمِ) فى خلقه و أمره. فهذه الأوصاف العظيمة مما تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له 1

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ)

العرب الذين لا يقرؤون الذين لا كتاب عندهم ولا أثر رسالة من العرب وغيرهم ممن ليسوا من أهل الكتاب كانوا في ضلال مبين يتعبدون للأشجار و الأصنام و الأحجار و يتخلقون بأخلاق السباع الضارية يأكل قوتهم

ضعيفهم و قد كانوا في غاية الجهل بعلوم الأنبياء {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: 44]

فبعث الله فيهم (رَسُولًا مِنْهُمْ) يعرفون نسبه و أوصافه الجميلة و صدقه و أنزل عليه كتابه

(يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القاطعة الموجبة للإيمان و اليقين

(وَيُزَكِّيهِمْ) بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة و يفصلها لهم و يزجرهم عن الأخلاق الرذيلة

(وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) علم القرآن (وَالْحِكْمَةَ) و علم السنة المشتمل ذلك علوم الأولين و الآخرين

فكانوا بعد هذا التعليم و التزكية منه أعلم الخلق

بل كانوا أئمة أهل العلم و الدين و أكمل الخلق أخلاقاً و أحسنهم هدياً و سمياً اهتدوا بأنفسهم و هدوا غيرهم فصاروا أئمة المهتدين و هداة المؤمنين فله عليهم بعثه هذا الرسول ﷺ أكمل نعمة و أجل منحة
* وَ هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ مِصْدَاقُ إِجَابَةِ اللَّهِ لِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ

{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 129].
فَبَعَثَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ الْمِنَّةُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ وَ قَدْ اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَ قَدْ مَقَّتْ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ عَرَبَهُمْ وَ عَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ-أَي:-
نَزَرًا يَسِيرًا-مِمَّنْ تَمَسَّكَ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
وَ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا قَدِيمًا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ فَبَدَّلُوهُ وَ غَيَّرُوهُ وَ قَلَّبُوهُ وَ خَالَفُوهُ
وَاسْتَبَدَّلُوا بِالتَّوْحِيدِ شِرْكًَا وَ بِالْيَقِينِ شَكًّا وَ ابْتَدَعُوا أَشْيَاءَ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ
وَ كَذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ قَدْ بَدَّلُوا كُتُبَهُمْ وَ حَرَّفُوهَا وَ غَيَّرُوهَا وَ أَوَّلُوهَا فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِشَرَعٍ عَظِيمٍ
كَامِلٍ شَامِلٍ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ فِيهِ هَدَايَتُهُمْ وَ الْبَيَانُ لَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِهِمْ وَ مَعَادِهِمْ
وَ الدَّعْوَةُ لَهُمْ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَ رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ وَ النَّهْيُ عَمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى النَّارِ وَ سَخَطِ اللَّهِ حَاكِمٌ
فَاصِلٌ لَجَمِيعِ الشُّبُهَاتِ وَ الشُّكُوكِ وَ الرَّيْبِ فِي الْأُصُولِ وَ الْفُرُوعِ.

(وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ) بعثته (لَفِي ضَلَالٍ) انحراف (مُبِينٍ) واضح عن الحق 2

**(و) امتن على (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) من غيرهم أي: من غير الأميين ممن يأخذ بعدهم و من أهل الكتاب هم الأَعَاجِمُ
وَ كُلٌّ مَنْ صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ.**

*البخارى 4897 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ:
{وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: 3] قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَلَمْ يُرَاجِعْهُ (لم يجبه على سؤاله) حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا وَ فِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَصَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ
ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا (مجموعة من النجوم مشهورة) لَنَالَهُ (لسعى إليه وحصله) رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ
(أي الفرس بدلالة وضع يده على سلمان)»

(لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) في الفضل-أي:- فيمن باشر دعوة الرسول و يحتمل أنهم:-

1- لما يلحقوا بهم في الفضل 2-و يحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان

(وَهُوَ الْعَزِيزُ) ه و العزيز الغالب على كل شيء (الْحَكِيمُ) في أقواله و أفعاله 3

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَ مَا خَصَّ بِهِ أُمَّتَهُ مِنْ بَعَثَتِهِ ﷺ إِلَيْهِمْ 4

(مَثَلُ الَّذِينَ خَسِلُوا) حملهم الله

(النَّورَةَ) من اليهود و كذا النصارى و أمرهم أن يتعلموها و يعملوا بما فيها

(ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) و أنهم لم يحملوها و لم يقوموا بما حُمِّلُوا به أنهم لا فضيلة لهم

(كَمَثَلِ الْحِمَارِ) و أن مثلهم كمثل الحمار الذى (يَحْمِلُ) فوق ظهره (أَسْفَارًا) من كتب العلم
فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

إلى مصالحهم ما دام الظلم لهم وصفًا و العناد لهم نعتًا و من ظلم اليهود و عنادهم أنهم يعلمون أنهم على باطل و يزعمون أنهم على حقو أنهم أولياء الله من دون الناس 5

(قُلْ) أيها النبى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا) اليهود (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ) أحياء الله (مِنْ دُونِ النَّاسِ)

(فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في زعمكم

و هذا أمر خفيف فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا التحدى الذي جعله الله دليلا على صدقهم إن تمنوه و كذبهم إن لم يتمنوه 6

(وَلَا يَمْنُونَ أَبَدًا) إثارة للحياة الدنيا على الآخرة، و خوفًا من عقاب الله لهم؛

(بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بما يعلمون من الكفر و الظلم و الفجور التي يستوحشون من الموت من أجلها

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فلا يمكن أن يخفى عليه من ظلمهم شيء هذا

(قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ) تهربون (مِنْهُ) لا مفرّ منه 7

(فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ) فإنه آتٍ إليكم عند مجيء آجالكم

(ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ثم ترجعون يوم البعث إلى الله العالم بما غاب و ما حضر

كقوله {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} [النساء: 78]

(فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فينبئهم بما كانوا يعملون من خير و شر قليل و كثير 8

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ
 ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
 وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا

قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَزَعِ ؕ اللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾

63-سورة المنافقون-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ؕ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ؕ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
 لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ؕ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
 ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
 وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ؕ كَانَهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ
 قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

أحاديث وردت في فضل يوم الجمعة:

*مسلم (854) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَ فِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَ فِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»

*البخارى -935 عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ:

«فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»
 وَ أَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا

*وَ قَدْ كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ يَوْمُ الْعُرُوبَةِ.

وَ ثَبَتَ أَنَّ الْأُمَّمَ قَبْلَنَا أَمَرُوا بِهِ فَضَلُّوا عَنْهُ وَ اخْتَارَ الْيَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهِ خَلْقٌ

وَ اخْتَارَ النَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ الَّذِي ابْتَدَى فِيهِ الْخَلْقُ

وَ اخْتَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الْخَلِيقَةَ

*البخارى -876 عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

نَحْنُ الْآخِرُونَ (زمانا) السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيِّدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا

ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ

فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبِعَ الْيَهُودُ غَدًا وَ النَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»

*مسلم -856 عن حُذَيْفَةَ ؓ:- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ

وَ كَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَ السَّبْتَ وَ الْأَحَدَ

وَ كَذَٰلِكَ هُمْ تَبِعَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا

وَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة و المبادرة إليها من حين ينادى لها و السعى إليها

(فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ)

و المراد بالسعى هنا:

المبادرة إليها و الاهتمام لها و جعلها أهم الأشغال لا العدو الذي قد نهى عنه عند المضي إلى الصلاة

*كقوله { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا [الإسراء: 19]

و نهى النبي عن المشى السريع:

*البخارى 636 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَ الْوَقَارِ (حسن السمات من خفض الصوت وعدم الالتفات و غرض البصر) وَ لَا تَسْرِعُوا فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَ مَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا»

*وَ إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِحُضُورِ الْجُمُعَةِ الرِّجَالُ الْأَخْرَارُ دُونَ النِّسَاءِ وَ الْعَبِيدِ وَ الصَّبْيَانِ وَ يُعَذَّرُ الْمُسَافِرُ وَ الْمَرِيضُ وَ قِيمَ الْمَرِيضِ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ.

(وَذَرُّوا) اتركوا (الْبَيْعُ) إذا نودى للصلاة و امضوا إليها.

وَ لِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ ؓ عَلَى تَحْرِيمِ الْبَيْعِ بَعْدَ النَّدَاءِ الثَّانِي

فإن **(ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ)** من اشتغالكم بالبيع و تفويتكم الصلاة الفريضة التي هي من آكد الفروض.

(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أن ما عند الله خير و أبقى و أن من آثر الدنيا على الدين فقد خسر الخسارة الحقيقية من

حيث ظن أنه يربح و هذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة 9

(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) لطلب المكاسب و التجارات

و لما كان الاشتغال في التجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله أمر الله بالإكثار من ذكره فقال:-

(وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) ففى حال قيامكم و قعودكم و على جنوبكم

(لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح 10

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا) الدنيا و زينتها **(انْفَضُّوا إِلَيْهَا)** نفرقوا إليها

*الصحيح المسند من اسباب النزول: البخارى-936 جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ (الإبل التي تحمل التجارة من طعام أو غيره والمراد بالطعام الحنطة وما شابهها) تَحْمِلُ طَعَامًا

فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا } [الجمعة: 11]

(وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) تخطف الناس و ذلك ففى يوم جمعة

و تركوا النبي ﷺ يخطب استعجالاً لما لا ينبغي أن يستعجل له و ترك أدب

*مسلم -862 عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَ يُذَكِّرُ النَّاسَ»
(قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ) من الأجر و الثواب لمن لازم الخير و صبر نفسه على عبادة الله.

(خَيْرٌ) أنفع لكم (مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّجَرَةِ وَاللَّهِ) وحده - (خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ) مَنْ رَزَقَ وَأُعْطِيَ
فاطلبوا منه، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا و الآخرة.
* و ليس الصبر على طاعة الله مفوّتاً للرزق

و في هذه الآيات فــــوائد عديدة:

- 1- أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين يجب عليهم السعي لها و المبادرة و الاهتمام بشأنها.
- 2- أن الخطبتين يوم الجمعة فريضتان يجب حضورهما
] لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين فأمر الله بالمضى إليه و السعى له [
- 3- مشروعية النداء ليوم الجمعة و الأمر به.

4- النهي عن البيع والشراء بعد نداء الجمعة و تحريم ذلك و ما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه
فدل ذلك على أن كل أمر و لو كان مباحاً في الأصل إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب فإنه لا يجوز في تلك
الحال

- 5- الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة و ذم من لم يحضرهما و من لازم ذلك الإنصات لهما.
- 6- أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله وقت دواعي النفس لحضور اللهو و التجارات و الشهوات أن
يذكرها بما عند الله من الخيرات و ما لمؤثر رضاه على هواه 11

63-تفسير سورة المنافقين-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

*الصحيح المسند من اسباب النزول-البخارى 4900 - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-

كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَقُولُ:-

- 1- لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ
- 2- وَ لَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ

فَذَكَّرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَاءَ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَدَعَانِي فَحَدَّثَنِي

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ صَدَّقَهُ
فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ

فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ مَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}

فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»

لما قدم النبي ﷺ المدينة و كثر المسلمون في المدينة و اعتر الإسلام بها صار أناس من أهلها من الأوس
و الخزرج يظهرون الإيمان و يطنون الكفر ليقى جاههم و تحقن دماؤهم و تسلم أموالهم

فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون لكي يحذر العباد منهم و يكونوا منهم على بصيرة فقال:

خصال المنافقين و الرد عليهم 8-1

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا) على وجه الكذب:

(نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ) وهذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب و النفاق مع أنه لا حاجة لشهادتهم

في تأييد رسوله فإن (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)

في قولهم و دعواهم و أن ذلك ليس بحقيقة منهم 1

(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) ترسًا يتترسون بها من نسبتهم إلى النفاق.

(فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) فصدوا عن سبيله بأنفسهم و صدوا غيرهم ممن يخفى عليه حالهم

(إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) حيث أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر و أقسموا على ذلك و أوهموا صدقهم 2

(ذَلِكَ) الذي زين لهم النفاق (ب) سبب (بِأَنَّهُمْ) لا يثبتون على الإيمان.

بل (ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) بحيث لا يدخلها الخير أبدًا

(فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) ما ينفعهم و لا يعون ما يعود بمصالحهم 3

(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) من روائها و نصارتها - كَانُوا أَشْكَالًا حَسَنَةً

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَ الْخَوَرِ وَ الْهَلَعِ وَ الْجَزَعِ وَ الْجُبْنِ

كقوله {أَشْجَةٌ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ

سَلَقُوكُمْ بِاللَّسِنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا [الأحزاب: 19]

(وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) ذَوِي فَصَاحَةٍ وَ أَلْسِنَةٍ إِذَا سَمِعَهُمُ السَّامِعُ يُصْغِي إِلَى قَوْلِهِمْ لِبَلَاغَتِهِمْ

أي: من حسن منطقهم تستلذ لاستماعه فأجسامهم و أقوالهم معجبة و لكن ليس وراء ذلك من الأخلاق

الفاضلة و الهدى الصالح شيء

و لهذا قال: (كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُمَسَّنَدَةٌ)

و هم لفراغ قلوبهم من الإيمان و عقولهم من الفهم و العلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط التي

لا حياة فيها

(يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)

لجبنهم و فزعهم و ضعف قلوبهم و الريب الذي في قلوبهم يخافون أن يطلع عليهم.

فهؤلاء (هُمُ الْعَدُوُّ) على الحقيقة

لأن العدو البارز المتميز أهون من العدو الذي لا يشعر به و هو مخادع ماكر يزعم أنه ولى وهو العدو المبين

(فَأَحْذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ) أخزاهم الله و طردهم من رحمته

(أَنِّي يُؤَفِّكُونَ) كيف يصرفون عن الدين الإسلامى بعد ما تبينت أدلته و اتضحت معالمه إلى الكفر الدلا لا

يفيدهم إلا الخسار و الشقاء 4

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ⑤
 سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑥ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا
 وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ⑦ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
 لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا أَلَاذِلُ اللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ⑧
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ⑨ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
 فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ⑩
 وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑪

*البخارى 4905 - عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ وَ قَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: -

يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ (ضَرْبُ الذُّبْرِ بِالنَّيْلِ أَوْ بِالرُّجْلِ) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: فَعَلُوهَا أَمَا وَاللَّهِ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْرِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»

وَ كَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدَ

*البخارى 4904 - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عُمَى فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولٍ يَقُولُ:

1- لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا

2- وَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي فَذَكَرَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ ﷺ فَدَعَانِي فَحَدَّثَنِي فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَ أَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا وَ كَذَّبَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَ صَدَقَهُمْ فَأَصَابَنِي غَمٌّ لَمْ يُصْبِنِي مِثْلُهُ قَطُّ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي وَ قَالَ عَمِّي: مَا أَرَدْتُ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَ مَقْتَكَ؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } [المنافقون: 1]

وَ أَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَفَقَرَأَهَا وَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ»

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لهؤلاء المنافقين (تَالَوْأَيَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ)

عما صدر منكم لتحسن أحوالكم و تقبل أعمالكم امتنعوا من ذلك أشد الامتناع

و(لَوْأ) مالوا (وَمُوسَهُم) و حركوها استهزاء و استكباراً و امتناعاً من طلب الدعاء من الرسول

(وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) عن الحق بغضاً له

(وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) عن اتباعه بغياً و عناداً

فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول و هذا من لطف الله و كرامته لرسوله:-

حيث لم يأتوا إليه فيستغفر لهم 5

فإنه (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) — (لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

و ذلك لأنهم قوم فاسقون خارجون عن طاعة الله مؤثرون للكفر على الإيمان فلذلك لا ينفع فيهم استغفار

الرسول لو استغفر لهم لقوله {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: 80]

و هذا من شدة عداوتهم للنبي ﷺ و المسلمين 6

هؤلاء المنافقون (هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ) لأهل المدينة

(لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) على أصحاب رسول الله من المهاجرين (حَتَّى يَنْفَضُوا) يتفرقوا عنه

فإنهم - بزعمهم - لولا أموال المنافقين و نفقاتهم عليهم لما اجتمعوا في نصرة دين الله

و هذا من أعجب العجب: أن يدعى هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين

و أذية المسلمين مثل هذه الدعوى التي لا تروج إلا على من لا علم له بحقائق الأمور

و لهذا قال الله ردّاً لقولهم:-

(وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)

فيؤتي الرزق من يشاء و يمنع من يشاء و ييسر الأسباب لمن يشاء و يعسرها على من يشاء

(وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)

فلذلك قالوا تلك المقالة التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم و تحت مشيئتهم 7

(يَقُولُونَ)

و ذلك في غزوة المريسيع:- حين صار بين بعض المهاجرين و الأنصار بعض كلام كدر الخواطر

ظهر حينئذ نفاق المنافقين و أظهروا ما في نفوسهم .

و قال كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول:- ما مثلنا ومثل هؤلاء -يعرى المهاجرين-إلا كما قال القائل:
« غد كلبك يأكلك »

قال:(لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)

بزعمه أنه هو و إخوانه من المنافقين الأعزون و أن رسول الله و من معه هم الأذلون
و الأمر بعكس ما قال هذا المنافق فلهذا قال تعالى:

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فهم الأعداء و المنافقون و إخوانهم من الكفار هم الأذلاء.

(وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك فلذلك زعموا أنهم الأعداء اغتراراً بما هم عليه من الباطل 8

توجيهات للمؤمنين 9-11

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَغْلِبْكُمْ)

(أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره فإن في ذلك الريح و الفلاح و الخيرات الكثيرة
و ينهاهم أن تشغلهم أموالهم و أولادهم عن ذكره

فإن محبة المال و الأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس فتقدمها على محبة الله و فى ذلك الخسارة العظيمة
و لهذا قال تعالى:

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْهَهِ مَالُهُ وَوَلَدُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

(فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) للسعادة الأبدية و النعيم المقيم لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى قال تعالى:

{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن: 15] 9

(وَأَنْفِقُوا) يدخل في هذا النفقات الواجبة من الزكاة و الكفارات و نفقة الزوجات و المماليك
و نحو ذلك و النفقات المستحبة كبذل المال في جميع المصالح و قال:

(مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ) ليدل ذلك على أنه تعاللم يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم و يشق عليهم

بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره لهم و يسر لهم أسبابه. فليشكروا الذي أعطاهم

1- بمواساة إخوانهم المحتاجين

2-و لبيادروا بذلك الموت الذى إذا جاء لم يمكن العبد أن بمثقال ذرة من الخير

و لهذا قال: (مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ)

متحسراً على ما فرط في وقت الإمكان سائلاً الرجعة التي هي محال

كقوله في الكفار:- {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: 99 100]

(فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي) أَجَلْتُ موتي (إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ) وقت قصير لأتدارك ما فرطت فيه

(فَأَصْدَقَ) من ماله ما به أنجو من العذاب و أستحق به جزيل الثواب

(وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) بأداء المأمورات كلها و اجتناب المنهيات و يدخل في هذا الحج و غيره 10

و هذا السؤال و التمرى قد فات وقته و لا يمكن تداركه و لهذا قال:

(وَلَنْ يُؤَخِّرَ) يَنْظُرُ (اللَّهُ نَفْسًا) أَحَدًا (إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) بَعْدَ حُلُولِ أَجَلِهِ المحتوم له
وَهُوَ أَعْلَمُ وَ أَخْبَرُ مِمَّنْ يَكُونُ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ وَ سُؤَالِهِ مِمَّنْ لَوْ رُدَّ لَعَادَ إِلَىٰ شَرٍّ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ
{بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: 28]

وَ لِهَذَا قَالَ (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) من خير و شر فيجازيكم على ما علمه منكم من النيات و الأعمال 11

.....

64-سورة التغابن-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا أَصْغَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌ حَمِيدٌ ﴿٦﴾
 زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنَاكَ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَنَ ثُمَّ لَنَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ
 وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

من مظاهر قدرة الله و علمه 1-4

(يُسَبِّحُ) ينزهه (لله) عما لا يليق به كل

(مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ) و أن الملك كله لله فلا يخرج مخلوق عن ملكه

(وَلَهُ الْحَمْدُ) و الحمد كله لله:-

1- حمد على ما له من صفات الكمال

2- و حمد على ما أوجده من الأشياء

3- و حمد على ما شرعه من الأحكام و أسداه من النعم.

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) و قدرته شاملة لا يخرج عنها موجود فلا يعجزه شيء يريد 1

الله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ) أوجدكم من العدم (فَمِنْكُمْ كَافِرٌ) فبعضكم جاحد لألوهيته

(وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) و بعضكم مصدق به عامل بشره

*فإيمانهم و كفرهم كله بقضاء الله و قدره و هو الذي شاء ذلك منهم

بأن جعل لهم قدرة و إرادة بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر و النهى

(وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) و هو سبحانه بصير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها و سيجازيكم بها 2

فلما ذكر خلق الإنسان المكلف المأمور المنهى ذكر خلق باقي المخلوقات فقال:

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) أجرامهما و جميع ما فيهما فأحسن خلقهما

(بِالْحَقِّ) بالحكمة و الغاية المقصودة له تعالى

(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)

كقوله { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ 6 الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ 7 فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ } [الانفطار: 6 - 8]

كقوله { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [النين: 4]

فالإنسان أحسن المخلوقات صورة و أبهاها منظرًا.

(وَالْيَهُ الْمَصِيرُ)

المرجع يوم القيامة فيجازيكم على إيمانكم و كفركم و يسألكم عن النعم و النعيم الذي أولاكموه

هل قمتم بشكره أم لم تقوموا بشكره؟ 3

ثم ذكر عموم علمه فقال: (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) من السرائر و الظواهر و الغيب و الشهادة.

(وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ)

بما فيها من الأسرار الطيبة و الخبايا الخبيثة و النيات الصالحة و المقاصد الفاسدة

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فإذا كان عليماً بذات الصدور تعين على العاقل البصير

أن يحرص و يجتهد في حفظ باطنه من الأخلاق الرذيلة و اتصافه بالأخلاق الجميلة 4

لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة ما به يعرف و يعبد و يبذل الجهد في مرضاته و تجتنب مساخطه

قصة قوم كذبوا بربههم 5-6

(الَّذِينَ كَذَبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ)

أخبر بما فعل بالأمم السابقين و القرون الماضية الذين لم تزل أنباؤهم يتحدث بها المتأخرون و يخبر بها

الصادقون و أنهم حين جاءتهم الرسل بالحق كذبوهم و عاندوهم

(فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ) فأذاقهم الله وبال أمرهم في الدنيا و أخزاهم فيها

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الدار الآخرة 5

ولهذا ذكر السبب في هذه العقوبة فقال: (ذَلِكَ) النكال و الوبال الذي أحلناه بهم

(بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْلِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ)

بآيات الواضحات الدالة على الحق و الباطل فاشمأزوا و استكبروا على رسلهم

(فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) فليس لهم فضل علينا و لأي: شيء خصهم الله دوننا

كما قال في الآية الأخرى:

{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم: 11]

فهم حجروا فضل الله و منته على أنبيائه أن يكونوا رسلا للخلق و استكبروا عن الانقياد لهم فابتلوا بعبادة الأحجار و الأشجار و نحوها

(فَكْفَرُوا) بالله

(وَتَوَلَّوْا) عن طاعة الله

(وَأَسْتَعْنَى اللَّهُ) عنهم فلا يبالى بهم و لا يضره ضلالهم شيئاً

(وَاللَّهُ غَفُورٌ حَمِيدٌ) هو الغري الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه الحميد في أقواله وأفعاله و أوصافه 6

انكار المشركين للبعث و عقابهم و ثواب المؤمنين 11-7

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْمَرُوا)

يخبر تعالى عن عناد الكافرين و زعمهم الباطل و تكذيبهم بالبعث بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير

(قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ)

وَ هَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُقَسِّمَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ وَقُوعِ الْمَعَادِ وَ وُجُودِهِ فَأَلَّوَلَىٰ فِي سُورَةِ يُونُسَ: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [يُونُسَ: 53]

وَ الثَّانِيَّةُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [الْآيَةُ: 3]

فأمر أشرف خلقه أن يقسم بربه على بعثهم و جزائهم بأعمالهم الخبيثة و تكذيبهم بالحق

(وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

فإنه وإن كان عسيراً بل متعذراً بالنسبة إلى الخلق فإن قواهم كلهم لو اجتمعت على إحياء ميت واحد ما قدروا على ذلك.

و أما الله تعالى فإنه إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون قال تعالى: -

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: 68]

*لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث و أن ذلك منهم موجب كفرهم بالله و آياته أمر بما يعصم من الهلكة و الشقاء

(فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ)

هو الإيمان بالله ورسوله و كتابه و سماه الله نوراً فإن النور ضد الظلمة و ما فى الكتاب

(الَّذِي أَنْزَلْنَا) أنزله الله من الأحكام و الشرائع و الأخبار أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة

و يمشى بها في حندس الليل البهيم و ما سوى الاهتداء بكتاب الله فهي علوم ضررها أكثر من نفعها

و شرها أكثر من خيرها بل لا خير فيها و لا نفع إلا ما وافق ما جاءت به الرسل

و الإيمان بالله ورسوله و كتابه يقتضي الجزم التام و اليقين الصادق بها
و العمل بمقتضى ذلك التصديق من امتثال الأوامر و اجتناب المناهى

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فيجازيكم بأعمالكم الصالحة و السيئة 8

اذكروا **(يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجَمْعِ)**

الذى يجمع الله به الأولين و الآخرين و يقفهم موقفاً هائلاً عظيماً و ينبئهم بما عملوا

فحينئذ يظهر الفرق و التفاوت بين الخلائق:-

1-يرفع أقوام إلى أعلى عليين في الغرف العاليات المشتملة على جميع اللذات و الشهوات

2-و يخفض أقوام إلى أسفل سافلين محل الهم و الغم و الحزن و العذاب الشديد

و ذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم و أسلفوه أيام حياتهم كقوله **{ذَلِكَ يَوْمُ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُورٍ}** [هود: 103]

و لهذا قال:- **(ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ)**

يظهر فيه التغابن و التفاوت بين الخلائق و يغبن المؤمنون الفاسقين

و ذلك أنه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضاً فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل

و يغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر و أهل الطاعة أهل المعصية

و لا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة و هؤلاء النار

فنزلوا منازلهم التى كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار

فكان أهل النار استبدلوا الخير بالشر و الجيد بالردىء و النعيم بالعذاب و أهل الجنة على العكس من ذلك.

يقال غبت فلاناً: إذا بايعته أو شاريته فكان النقص عليه و الغلبة

كذا قال المفسرون فالمغبون من غبن أهله و منازلهم في الجنة

*و يَوْمُ التَّغَابُنِ يَوْمُ الْبَعثِ وَقِيلَ سَمَى بِذَلِكَ:-

لأن أهل الجنة يَغْبِنُ فيه أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم و يَلْقَى فيه أهل النار من

العذاب الجحيم و يَغْبِنُ من ارتفعت منزلته في الجنة مَنْ كان دُونَ منزلته

و سئل الحسن عن قوله تعالى ذلك يَوْمُ التَّغَابُنِ :-

فقال غَبَنَ أهل الجنة أهل النار أي اسْتَنْقَصُوا عقولهم باختيارهم الكفر على الإيمان

و نَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ غَبَنَ آخَرُ فِي بَيْعٍ فَقَالَ إِنَّ هَذَا يَغْبِنُ عَقْلَكَ أَي يَنْقُصُهُ وَغَبَنَ الثَّوْبَ يَغْبِنُهُ غَبْنًا كَفَهُ

فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: **(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ)** إيماناً تاماً شاملاً لجميع ما أمر الله بالإيمان به

(وَيَعْمَلْ صَالِحًا) من الفرائض و النوافل **من:-** أداء حقوق الله و حقوق عباده.

(يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ) يمح عنه ذنوبه

(وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

تحت قصورها الأنهار

(خَلِيدِيْنَ فِيهَا أَبَدًا)

ذلك الخلود في الجنات

(ذَلِكَ) هو

(الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الذي لا فوز بعده.

فيها ما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين و تختاره الأرواح و تحن إليه القلوب و يكون نهاية كل مرغوب 9

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا بِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾
 مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾
 وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
 عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
 إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لِلَّهِ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا
 وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾
 إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾
 عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) كفروا بها من غير مستند شرعي و لا عقل

بل جاءتهم الأدلة و البينات فكذبوا بها و عاندوا ما دلت عليه.

(أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) لأنها جمعت كل بؤس و شدة و شقاء و عذاب 10

توجيهات للمؤمنين 11-18

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)

قوله { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } [الحديد: 22]

هذا عام لجميع المصائب في النفس والمال والولد و الأحباب.....

فجميع ما أصاب العباد فبقضاء الله و قدره قد سبق بذلك علم الله تعالى و جرى به قلمه و نفذت به مشيئته

و اقتضته حكمته و الشأن كل الشأن: هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام أم لا يقوم بها؟

فإن قام بها فله الثواب الجزيل و الأجر الجميل في الدنيا و الآخرة

(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) فإذا آمن أنها من عند الله فرض بذلك و سلم لأمره - يَسْتَرْجِعْ

* فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ قَدَرِهِ فَصَبَرَ وَ احْتَسَبَ وَ اسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ

عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلْقَمَةَ فَقَرِئَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةُ: { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ }

فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ:- فَقَالَ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَ يُسَلِّمُ.

* مسلم (2299) عَنْ صُهَيْبٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ

إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في:-

أحواله و أقواله و أفعاله و في علمه و عمله. و هذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان كما قال تعالى في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا و في الآخرة.

و أصل الثبات: ثبات القلب و صبره و يقينه عند ورود كل فتنة فقال:

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: 27]

فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا و أثبتهم عند المزعجات و المقلقات و ذلك لما معهم من الإيمان (يَهْدِ قَلْبَهُ.)

1-للتسليم بأمره و الرضا بقضائه

2-و يهده لأحسن الأقوال و الأفعال و الأحوال لأن أصل الهداية للقلب و الجوارح تبع.

3-بل يرزقه الثبات عند ورودها و القيام بموجب الصبر فيحصل له بذلك ثواب عاجل مع ما يدخر الله

له يوم الجزاء من الثواب كقوله {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]

4- هدى الله قلبه فاطمأن و لم ينزعج عند المصائب كما يجري لمن لم يهد الله قلبه

5- يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

6- هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَ عَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدًى فِي قَلْبِهِ وَ يَقِينًا صَادِقًا

7-و قَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ أَوْ خَيْرًا مِنْهُ.

و علم من هذا أن:- من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب بأن لم يلحظ قضاء الله و قدره

بل وقف مع مجرد الأسباب :-

أنه يخذل و يكله الله إلى نفسه و إذا وكل العبد إلى نفسه

فالنفس ليس عندها إلا الجزع و الهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد قبل عقوبة الآخرة على ما فرط في

واجب الصبر هذا ما يتعلق بقوله:- في مقام المصائب الخاص

و أما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي :-

فإن الله أخبر أن كل من آمن أي:الإيمان المأمور به من الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

و القدر خيره و شره و صدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه و واجباته

(وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شيء من ذلك 11

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)

في امتثال أمرهما و اجتناب نهيهما فإن طاعة الله و طاعة رسوله مدار السعادة و عنوان الفلاح

(فَإِذَا تَوَلَّيْتُمْ) عن طاعة الله و طاعة رسوله

(فَإِنَّمَا عَلَى رُسُلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ وَ عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا التَّسْلِيمُ

ليقيم عليكم الحجة-ليس بيده هدايتكم و لا حسابكم من شيء **12**

(**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**) هو المستحق للعبادة و الألوهية فكل معبود سواه فباطل
*خَبْرٌ عَنِ التَّوْحِيدِ وَ مَعْنَاهُ مَعْنَى الطَّلَبِ أَيْ: وَحَدُّوا إِلَهِيَّةَ لَهُ وَ أَخْلَصُوهَا لَدَيْهِ وَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: 9] .

(**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**) فيلتمدوا عليه في كل أمر نابهم و فيما يريدون القيام به
فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله و لا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله
و لا يتم الاعتماد على الله حتى يحسن العبد ظنه بربه و يثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به
و بحسب إيمان العبد يكون توكله فكلما قوي الإيمان قوي التوكل **13**

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ**)

-تحذير من الله للمؤمنين من الاغترار بالأزواج و الأولاد

*الصحيح الممسند من اسباب للنزول سنن الترمذى -3317 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: 14]

قَالَ: «هَؤُلَاءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَ أَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ

فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدْعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ ﷺ

فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَقَّهُوا فِي الدِّينِ هَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: 14]

كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: 9]

(**عَدُوًّا لَكُمْ**)

يصدونكم عن سبيل الله و يشبطونكم عن طاعته فإن بعضهم عدو لكم

و العدو هو الذي يريد لك الشر و وظيفتك الحذر ممن هذا وصفه و النفس مجبولة على محبة الأزواج

و الأولاد فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج و الأولاد

(**فَاحْذَرُوهُمْ**) فكونوا منهم على حذر و لا تطيعوهم

و لما كان النهى عن طاعة الأزواج و الأولاد فيما هو ضرر على العبد و التحذير من ذلك قد يوهم الغلظة

عليهم و عقابهم أمر تعالى بالحذر منهم و الصفح عنهم و العفو فإن في ذلك من المصالح ما لا يمكن

حصره فقال: (**وَلِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا**)

و إن تتجاوزوا عن سيئاتهم و تعرضوا عنها و تستروها عليهم

فمن عفا الله عنه و من صفح الله عنه و من غفر الله له لأن الجزء من جنس العمل.

ومن عامل الله فيما يحب و عامل عباده كما يحبون وينفعهم ﴿نال محبة الله و محبة عباده و استوثق له أمره﴾

(فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) يغفر لكم ذنوبكم لأنه سبحانه عظيم الغفران (رَحِيمٌ) واسع الرحمة.

(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) اختبار و ابتلاء لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه

(وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) لمن أثر طاعته على طاعة غيره و أدى حق الله في ماله.

قوله { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَا } عمران 14

*صحيح ابن خزيمة- عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :كان رسول الله ﷺ يخطب فأقبل الحسن و الحسين عليهما قميصان أحمران يعثران و يقومان فنزل فأخذهما فوضعهما بين يديه ثم قال :

صدق الله و رسوله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في خطبته 14

(فَاتَّقُوا اللَّهَ) ابذلوا-أيها المؤمنون- في تقوى الله (مَا اسْتَطَعْتُمْ) جهدكم وطاقتم

فهذه الآية تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد أنه يسقط عنه

و أنه إذا قدر على بعض الأمور و عجز عن بعضه :فإنه يأثم بما يقدر عليه و يسقط عنه ما يعجز عنه

كما قال النبي ﷺ: في البخارى-7288

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: دَعَوْنِي (اتركوني) مَا تَرَكَتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ (كثرة أسئلتهم) وَ اخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ

(قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه)»

*إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ نَاسِخَةٌ لِلَّتِي فِي "آلِ عِمْرَانَ" وَهِيَ قَوْلُهُ:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آلِ عِمْرَانَ: 102]

و يدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع ما لا يدخل تحت الحصر

(وَأَسْمَعُوا) لرسول الله ﷺ سماع تدبّر و تفكر ما يعظكم الله به و ما يشرعه لكم من الأحكام

(وَأَطِيعُوا) الله و رسوله في جميع أموركم...أطيعوا أوامره و اجتنبوا نواهيه

(وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ)

من النفقات الشرعية الواجبة و المستحبة يكن ذلك الفعل منكم خيراً لكم في الدنيا و الآخرة

فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى و قبول نصائحه و الانقياد لشرعه و الشر كله في مخالفة ذلك.

*مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ مَهْمَا تَصَدَّقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ وَ نَزَلَ ذَلِكَ مَنَزِلَةَ الْقَرْضِ لَهُ كَمَا تَبَتَّ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ

*مسلم -758 أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

يَنْزِلُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ:-

مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ أَوْ يَسْأَلْنِي فَأَعْطِيهِ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضْ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظُلُومٍ وَ لِهَذَا قَالَ: {يُضَاعِفُهُ لَكُمْ} كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة: 245]

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) و من سَلِمَ من البخل و مَنَعَ الفضل من المال

الشح: ما يُظهره الإنسان من حرصٍ و بُخْلِ شديدين على ما يملك. و الاقتصاد فيما يُنفق فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها

(فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الظافرون بكل خير الفائزون بكل مطلب.

لأنهم أدركوا المطلوب و نجوا من المرهوب بل لعل ذلك شامل لكل ما أمر به العبد و نهى عنه
- فإنه إن كانت نفسه شحيحة لا تنقاد لما أمرت به و لا تخرج ما قبلها:-

لم يفلح بل خسر الدنيا و الآخرة

-و إن كانت نفسه نفساً سمحة مطمئنة منسجمة لشرع الله طالبة لمرضاة الله :-

فإنها ليس بينها و بين فعل ما كلفت به إلا العلم به و وصول معرفته إليها و البصيرة بأنه مرض الله تعالى
و بذلك تفلح و تنجح و تفوز كل الفوز 16

ثم رغب تعالى فى النفقة فقال: (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا)

و هو كل نفقة كانت من الحلال إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى و طلب مرضاته و وضعها في موضعها
(حَسَنًا) بإخلاص و طيب نفس (يُضَاعِفُهُ لَكُمْ) النفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

(و) مع المضاعفة أيضاً (وَيَغْفِرَ لَكُمْ) بسبب الإنفاق و الصدقة ذنوبكم فإن الذنوب يكفرها الله
بالصدقات و الحسنات: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: 114]

(وَاللَّهُ شَكُورٌ) يقبل من عباده اليسير من العمل و يجازيهم عليه الكثير من الأجر
و يشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق و الأثقال و ناء بالتكاليف الثقال
و من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

(حَلِيمٌ) لا يعاجل من عصاه بل يمهله و لا يهمله

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} [فاطر: 45] 17

(عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب عن العباد من الجنود التى لا يعلمها إلا هو و ما يشاهدونه من المخلوقات

(الْعَزِيزُ) الذى لا يغالب و لا يمانع الذى قهر كل الأشياء

(الْحَكِيمُ) فى خلقه و أمره الذى يضع الأشياء مواضعها 18

65-سورة الطلاق-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ تَقَوُّوا اللَّهَ رَبَّكُمْ
لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ فَمَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ
وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْبِتُمْ
فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضُوا وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

من أحكام الطلاق 7-1

يقول تعالى مخاطبًا لنبيه ﷺ وللْمُؤْمِنِينَ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) أردتم طلاقهن

*البخارى 4908- عَنْ سَالِمٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ:

أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَغَيَّظَ فِيهِ (غضب لفعله) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «لِيَرَا جَعَلَهَا ثُمَّ يُمْسِكُهَا حَتَّى تَطْهَرُ ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرُ فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطْلَقَهَا فَلْيُطْلَقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسَهَا (بجامعها) فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (بقوله {فطلقوهن لعدتهن} أي لأول عدتهن)»

*مسلم (1471) عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَهْمَنَ مَوْلَى عَزَّةَ يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَسْمَعُ ذَلِكَ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا؟ فَقَالَ:

طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لِيَرَا جَعَلَهَا» فَرَدَّهَا وَقَالَ:

«إِذَا طَهَرَتْ فَلْيُطْلَقْ أَوْ لِيُمْسِكْ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ»

(ف) التمسوا لطلاقهن الأمر المشروع و لا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه من غير مراعاة لأمر الله.

بل (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ)

لأجل عدتهن بأن يطلقها زوجها و هى طاهر في طهر لم يجمعها فيه فهذا الطلاق هو الذى تكون العدة فيه

واضحة بينة

- بخلاف ما لو طلقها و هى حائض فإنها لا تحتسب تلك الحيضة التي وقع فيها الطلاق و تطول عليها العدة بسبب ذلك

- و كذلك لو طلقها فى طهر و طئ فيه فإنه لا يؤمن حملها فلا يتبين و لا يتضح بأي عدة تعدد
* وَمِنْ هَا هُنَا أَخَذَ الْفُقَهَاءُ أَحْكَامَ الطَّلَاقِ وَ قَسَمُوا لَهُ إِلَى:-

1- طَلَّاقٌ سُنَّةٌ

2- وَ طَلَّاقٌ بَدْعَةٌ

فَطَلَّاقُ السُّنَّةِ: أَنْ يُطَلِّقَهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ أَوْ حَامِلًا قَدْ اسْتَبَانَ حَمْلُهَا.
وَ الْبَدْعِيُّ: هُوَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي حَالِ الْحَيْضِ أَوْ فِي طُحْرِ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ وَ لَا يَدْرِي أَحْمَلَتْ أَمْ لَا؟
وَ طَلَّاقٌ ثَالِثٌ لَا سُنَّةَ فِيهِ وَ لَا بَدْعَةَ: وَ هُوَ طَلَّاقُ الصَّغِيرَةِ وَ الْآيِسَةِ وَ غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا

(وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ) ضبط العدة بالحيض إن كانت تحيض أو بالأشهر إن لم تكن تحيض و ليست حاملا

فإن في إحصائها أداء لحق الله و حق الزوج المطلق و حق من سيتزوجها بعد و حقها فى النفقة و نحوها فإذا ضبطت عدتها علمت حالها على بصيرة و علم ما يترتب عليها من الحقوق و ما لها منها و هذا الأمر بإحصاء العدة يتوجه للزوج و للمرأة إن كانت مكلفة و إلا فلوليها

(وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) فى جميع أموركم و خافوه فى حق الزوجات المطلقات

ف (لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) مدة العدة بل يلزم من بيوتهن الذي طلقها زوجها و هى فيها.

(وَلَا يَخْرُجْنَ) لا يجوز لهن الخروج منها

أما النهي عن إخراجها:- فلأن المسكن يجب على الزوج للزوجة لتكمل فيه عدتها التي هي حق من حقوقه.

و أما النهي عن خروجها فلما فى خروجها من إضاعة حق الزوج و عدم صونه.

و يستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت و الإخراج إلى تمام العدة.

(إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ)

تَشْمَلُ الزَّنا وَ تشمل ما اذا نشزت المرأة أَوْ بَدَّتْ عَلَى أَهْلِ الرَّجُلِ وَ أَذْنَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَ الْفِعَالِ
ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها لأنها هى التى تسببت لإخراج نفسها و الإسكان فيه جبر لخاطرها و رفق بها فهى التى أدخلت الضرر على نفسها و هذا فى المعتدة الرجعية

و أما البائن فليس لها سكنى واجبة لأن السكن تبع للنفقة و النفقة تجب للرجعية دون البائن

(وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) التى حددها لعباده و شرعها لهم و أمرهم بلزومها و الوقوف معها

(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ) بأن لم يقف معها بل تجاوزها أو قصر عنها

(فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) بخسها حظها و أضاع نصيبه من اتباع حدود الله التى هى الصلاح فى الدنيا و الآخرة.

(لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) هِيَ الرَّجْعَةُ.

و من هاهنا ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ مِنَ السَّلَفِ وَ مَنْ تَابَعَهُمْ
كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ لَا تَجِبُ السُّكْنَى لِلْمَبْتُوتَةِ وَ كَذَا الْمُتَوَقِّعُ عَنْهَا زَوْجَهَا
وَ اعْتَمَدُوا أَيْضًا عَلَى حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسِ الْفَهْرِيَّةِ
*مسلم (1480) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَ هُوَ غَائِبٌ
فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ (ما رُضيت به لكونه شعيرا أو لكونه قليلا)

فَقَالَ: وَ اللَّهُ مَا لَكَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»
فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَ (تستوفي عدتها وعدة المرأة قيل أيام أقرائها وقيل تربصها المدة الواجبة عليها) فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكَ
ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ أَمْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي اعْتَدَى عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكَ
فَإِذَا حَلَلْتَ فَادْنِينِي» (فأعلميني) قَالَتْ:

فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَ أَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ (كثير الضرب للنساء والعائق هو ما بين العنق إلى المنكب)

وَ أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُغْلُوكُ (فقير في الغاية) لَا مَالَ لَهُ أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»

فَكَرِهْتُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَنْكِحِي أُسَامَةَ» فَكَرِهْتُهُ فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا وَ اغْتَبَطْتُ بِهِ (الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير
إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد تقول منه غبطته بما نال أغبطه بكسر الباء غبطا وغبطة فاغبط هو كمنعته فامتنع وحبسته فاحتبس)

شرع الله العدة و حدد الطلاق بها لحكمة عظيمة:

1- أنه لعل الله يحدث في قلب المطلق الرحمة و المودة فيراجع من طلقها و يستأنف عشرتها فيتمكن من ذلك مدة العدة

2- أو لعله يطلقها لسبب منها فيزول ذلك السبب في مدة العدة فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق.

3- و من الحكم: أنها مدة التربص يعلم براءة رحمها من زوجها **1**

(فَإِذَا بَلَغَنَّ) قَارِبِن

(أَجَلَهُنَّ) انقضاء العدة لأنهن لو خرجن من العدة لم يكن الزوج منخيرا بين الإمساك والفراق.

(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)

على وجه المعاشرة الحسنة و الصحبة الجميلة لا على وجه الضرار و إرادة الشر و الحبس فإن إمساكها على هذا الوجه لا يجوز

(أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) فراقا لا محذور فيه من غير تشاتم و لا تخاصم و لا قهر لها على أخذ شيء من مالها

(وَأَشْهَدُوا) على طلاقها و رجعتها

(ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ)

رجلين مسلمين عدلين لأن في الإشهاد المذكور سداً لباب المخاصمة و كتمان كل منهما ما يلزمه بيانه.

(وَأَقِيمُوا) أيها الشهداء

(الشَّهَدَةُ لِلَّهِ) اتنوا بها على وجهها من غير زيادة و لا نقص و اقصدوا بإقامتها وجه الله وحده و لا تراعوا بها قريباً لقربته و لا صاحباً لمحبتة

(ذَلِكَكُمْ) الذي ذكرنا لكم من الأحكام و الحدود

(يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

فإن من يؤمن بالله و اليوم الآخر يوجب له ذلك:-

1- أن يتعظ بمواعظ الله

2- و أن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة ما تمكن منها

بخلاف من ترحل الإيمان عن قلبه :-

فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من الشر و لا يعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) مِنْ شُبُهَاتِ الْأُمُورِ وَ الْكَرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ

إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل: 90]

وَ إِنَّ أَكْثَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجًا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}

- لما كان الطلاق قد يوقع في الضيق و الكرب و الغم ➡

أمر تعالى بتقواه و أن من اتقاه في الطلاق و غيره فإن الله يجعل له فرجاً و مخرجاً.

فإذا أراد العبد الطلاق ففعله على الوجه الشرعي:-

بأن أوقعه طلاقة واحدة في غير حيض و لا طهر قد وطئ فيه ➡

فإنه لا يضيق عليه الأمر بل جعل الله له فرجاً و سعة يتمكن بها من مراجعة النكاح إذا ندم على الطلاق

و الآية و إن كانت في سياق الطلاق و الرجعة فإن العبرة بعموم اللفظ

- فكل من اتقى الله تعالى و لازم مرضاة الله في جميع أحواله ➡

فإن الله يشييه في الدنيا و الآخرة.

و من جملة ثوابه أن يجعل له فرجاً و مخرجاً من كل شدة و مشقة و كما أن من اتقى الله جعل له فرجاً

و مخرجاً

- فمن لم يتق الله :-

وقع في الشدائد و الآصار و الأغلال التي لا يقدر على التخلص منها و الخروج من تبعثها

و اعتبر ذلك بالطلاق فإن العبد إذا لم يتق الله فيه بل أوقعه على الوجه المحرم كالثلاث و نحوها

فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها و الخروج منها **2**

◀ المخرج من كل غم

قال ابن الجوزي: ضاق بي أمرٌ أو جبَّ غمًا لازمًا دائمًا، وأخذتُ أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٤)، فعلمتُ أن التقوى سببٌ للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدتُ المخرج^(٥).
صيد الخاطر

(وَبَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يسوق الله الرزق للمتقوى من وجه لا يحتسبه و لا يشعر به.

*الترمذي 2516 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

فى أمر دينه و دنياه بأن يعتمد على الله فى جلب ما ينفعه و دفع ما يضره و يثق به فى تسهيل ذلك (فَهُوَ حَسْبُهُ)^(٦) كافيهِ الأمر الذي توكل عليه به

و إذا كان الأمر في كفالة الغرى القوى العزيز الرحيم فهو أقرب إلى العبد من كل شيء و لكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيرهِ إلى الوقت المناسب له

فلهذا قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ) لا بد من نفوذ قضائه و قدره . كقوله {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: 8]

و لكنه (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) وقتنا و مقدارًا لا يتعداه و لا يقصر عنه **3**

لما ذكر تعالى أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء ذكر تعالى العدة فقال:

(وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) بأن كن يحضن ثم ارتفع حيضهن لكبر أو غيره و لم يرج رجوعه

(إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) فإن عدتها ثلاثة أشهر جعل لكل شهر مقابلة حيضة.
*فيه قولان: أَحَدُهُمَا:-

أَيَّ إِنِّ رَأَيْنَ دَمًا وَشَكَّكْتُمْ فِي كَوْنِهِ حَيْضًا أَوْ اسْتِحَاضَةً وَ ارْتَبْتُمْ فِيهِ.

و الْقَوْلُ الثَّانِي:-

إِنْ ارْتَبْتُمْ فِي حُكْمِ عِدَّتِهِنَّ وَ لَمْ تَعْرِفُوهُ فَهُوَ ثَلَاثُ أَشْهُرٍ وَ هُوَ أَظْهَرُ فِي الْمَعْنَى

(وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ) الصغار اللائي لم يأتهن الحيض بعد و البالغات اللائي لم يأتهن حيض بالكلية

فإنهن كالأيسات عدتهن ثلاثة أشهر و أما اللائي يحضن فذكر الله عدتهن في قوله:

{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]

(وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ) أى عدتهن

*مَنْ كَانَتْ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا بِوَضْعِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْدَ الطَّلَاقِ أَوْ الْمَوْتِ بِفُوقِ نَاقَةٍ
 *البخارى 4909 -جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَ أَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ عِنْدَهُ
 فَقَالَ: أَفْتِنِي فِي امْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:-
 آخِرُ الْأَجَلَيْنِ (أقصاهما من أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل)

قُلْتُ أَنَا:- {وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: 4]

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:- أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي - يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ - فَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ غُلَامَهُ كُرَيْبًا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا
 فَقَالَتْ:- «قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ وَ هِيَ حُبْلَى فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً
 فَخُطِبَتْ فَأَذْكَحَهَا (فاذن لها أن تتزوج) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ كَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيْمَنْ خُطِبَهَا»

(أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) جميع ما في بطونهن من واحد و متعدد و لا عبرة حينئذ بالأشهر و لا غيرها

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) من اتقى الله تعالى يسر له الأمور و سهل عليه كل عسير 4

(ذَلِكَ) الحكم الذي بينه الله لكم

(أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا) لتمشوا عليه و تأتموا و تقوموا به و تعظموه.

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سُبُلًا مَخْرَجًا) يندفع عنه المحذور و يحصل له المطلوب 5

.....

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِضَيْقِهِنَّ^٤ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ^٥
 حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا^٦ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ^٧ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْعُكُمْ^٨ لَهُ أُخْرَى^٩
 ⑥ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ^{١٠} مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا^{١١}
 سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ⑦ وَكَاتِبَيْنِ مِنْ قَرِيْبَةٍ عِنْتُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا
 وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا ثَقِيرًا ⑧ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسرًا ⑨ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
 فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ⑩ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ
 لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ⑪ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
 وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ⑫

تقدم أن الله نهى عن إخراج المطلقات عن البيوت

(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ)

و هنا أمر بإسكانهن و قدر الإسكان بالمعروف و هو البيت الذي يسكنه مثله و مثلها

(مِنْ وَجْدِكُمْ) سعتكم - بحسب وجد الزوج و عسره

تحذير المعاندين و وعد المؤمنين 8-11

(وَلَا تُضَارَّوهُنَّ) عند سكنهن بالقول أو الفعل (لِضَيْقِهِنَّ^٤)

لأجل أن يمللن فيخرجن من البيوت قبل تمام العدة فتكونوا أنتم المخرجين لهن
 يَعْرِى يُضَاجِرُهَا لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَالِهَا أَوْ تَخْرُجَ مِنْ مَسْكَنِهِ.

* و حاصل هذا أنه نهى عن إخراجهن و نهاهن عن الخروج و أمر بسكنهن على وجه لا يحصل عليهن ضرر

و لا مشقة و ذلك راجع إلى العرف

(وَإِنْ كُنَّ) أى المطلقات (أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ^٥) فى عدتهن (حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ^٥)

- و ذلك لأجل الحمل الذي فى بطنها إن كانت بانئا

- و لها و لحملها إن كانت رجعية

و منتهى النفقة حتى يرضع حملهن فإذا ورضع حملهن فإما أن يرضعن أولادهن أو لا

(فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ) أولادهن منكم بأجرة

(فَنَافِثُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) (المسماة لهن إن كان مسمى و إلا فأجر المثل

(وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ)

ليأمر بعضهم بعضاً

(بِمَعْرُوفٍ) بما عرف من سماحة و طيب نفس

كقوله { لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ } [البقرة: 233]

أي: و ليأمر كل واحد من الزوجين و من غيرهما الآخر بالمعروف و هو كل ما فيه منفعة و مصلحة في الدنيا و الآخرة فإن الغفلة عن الائتثار بالمعروف يحصل فيه من الشر و الضرر ما لا يعلمه إلا الله و في الائتثار تعاون على البر و التقوى و مما يناسب هذا المقام أن الزوجين عند الفراق وقت العدة خصوصاً إذا ولد لهما ولد في الغالب يحصل من التنازع و التشاجر لأجل النفقة عليها و على الولد مع الفراق الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض يؤثر منه البغض شيء كثير .

فكل منهما يؤمر بالمعروف و المعاشرة الحسنة و عدم المشاقة و المخاصمة و ينصح على ذلك.

(وَأِنْ تَعَاَسَرْتُمَ) لم تتفقوا على إرضاع الأم

(فَسَتَرْضِعُ لَهَا أُخْرَى) (فسترضع للأب مرضعة أخرى غير الأم المطلقة.

{ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة: 233]

و هذا حيث كان الولد يقبل ثدى غير أمه فإن لم يقبل إلا ثدى أمه تعينت لإرضاعه

و وجب عليها و أجبرت إن امتنعت و كان لها أجره المثل إن لم يتفقا على مسمى

و هذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى

فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل ليس له خروج منه عين تعالى على وليه النفقة فلما ولد

و كان يمكن أن يتقوت من أمه و من غيرها أباح تعالى الأمرين

فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة الحمل و تعينت أمه طريقاً لقوته 9

ثم قدر تعالى النفقة بحسب حال الزوج فقال:-

(لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ) لينفق الغني من غناه فلا ينفق نفقة الفقراء.

(وَمَن قَدَرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقُهُ)

(فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) من الرزق

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا)

و هذا مناسب للحكمة و الرحمة الإلهية حيث جعل كلا بحسبه و خفف عن المعسر و أنه لا يكلفه إلا ما آتاه فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها في باب النفقة وغيرها.

(سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) هذه بشارة للمعسرني الله تعالى سيزيل عنهم الشدة و يرفع عنهم المشقة

كقوله { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا 5 إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [الشرح: 5 6] 7

* يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية و القرون المكذبة للرسول :-

(وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ) قردت و طغت و استكبرت

{عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ} عن اتباع أوامر الله و متابعة رسله و أن كثرتهم و قوتهم لم تنفعهم شيئاً

{فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا} حين جاءهم الحساب الشديد

{وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا} منكرًا فظيحا حين جاءهم العذاب الأليم 8

{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} غَبَّ مخالفتها و ندموا حيث لا ينفع الندم

{وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرٌ خُسْرًا}

هلاكاً و خساراً لا خسران بعده. و مع عذاب الدنيا فإن الله أعد لهم في الآخرة عذاباً شديداً 9

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا

(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا) يا ذوى العقول التى تفهم عن الله آياته و عبره

و أن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم أن من بعدهم مثلهم لا فرق بين الطائفتين.

{قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} القرآن و قيل الرسول 10

(رَسُولًا) مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلُ اشْتِمَالٍ وَ مُلَابَسَةٍ لِأَنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي بَلَغَ الذِّكْرَ.

{عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ}

ثم ذكر عبادته المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ

{لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ليخرج الخلق

(مِنَ الظُّلُمَاتِ) من ظلمات الكفر و الجهل و المعصية

(إِلَى النُّورِ) إلى نور العلم و الإيمان و الطاعة

فمن الناس من آمن به و منهم من لم يؤمن به

* وَ قَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْوَحْيَ الَّذِي أَنزَلَهُ نُورًا لِّمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْهُدَى

كَمَا سَمَّاهُ رُوحًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ فَقَالَ تَعَالَى :-
 {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
 وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]

(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا) من الواجبات والمستحبات.

يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

فيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر

(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ) أى للمؤمن الصالح

(رِزْقًا) فى الجنة

و من لم يؤمن بالله و رسوله فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون **11**

التذكير بقدرة الله

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ }

— ثم أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع و من فيهن و الأرضين السبع و من فيهن و ما بينهن

{ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ }

*البخارى -2452 عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
 «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»

*البخارى -2454 عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بَغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»

كقوله عن نوح {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نوح: 15]

{ فَسَبَّحْ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } [الإسراء: 44]

{ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ }

و أنزل الأمر و هو الشرائع و الأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد و وعظهم

— و كذلك الأوامر الكونية و القدرية التي يدبر بها الخلق

{ لَتَعْلَمُوا } كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد

{ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } لا يعجزه شىء

{ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } فلا يخرج شىء عن علمه و قدرته.

و يعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها و إحاطة علمه بجميع الأشياء

فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة و أسمائه الحسنی و عبدوه و أحبوه و قاموا بحقه

فهذه الغاية المقصودة من الخلق و الأمر معرفة الله و عبادته

فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين و أعرض عن ذلك الظالمون المعرضون **12**

66-سورة التحريم-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُوَبِّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُورٍ أَنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنِينَاتٍ تَنْبِتُ عِبْدَاتٍ سَيَحِبَّنَّ ثِيَابَ آبِكَارٍ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْزِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَعْزِدُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

*البخارى 4911 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قَالَ: فِي الْحَرَامِ (إذا حرم على نفسه ما يحل له كما إذا قال حرام علي أكل اللحم أو قال لزوجته أنت علي حرام) يُكْفَرُ

(كفارة يمين وهذا إذا لم ينو الطلاق فإن نوى الطلاق وقع كما نوى) وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةً»

البخارى 4912 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَ يَمْكُثُ عِنْدَهَا فَوَاطَيْتُ (اتفقت) أَنَا وَ حَفْصَةُ عَلَى أَيَّتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ:

أَكَلْتُ مَغَافِيرَ (جمع مغفور وهو صمغ حلو له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرفط) إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ قَالَ:

«لَا وَ لِكُرْبِي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَ قَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا»

(على أن لا أعود لشرب العسل عندها)

*هذا عتاب من الله لنبية محمد ﷺ حين حرم على نفسه سريته «مارية» أو شرب العسل مراعاة لخاطر بعض

زوجاته في قصة معروفة فأنزل الله تعالى هذه الآيات

قصة النبي ﷺ و بعض أزواجه 5-14

(يَأْتِيهَا النَّبِيُّ) يا أيها الذى أنعم الله عليه بالنبوة و الوحى و الرسالة

(لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) من الطيبات التى أنعم الله بها عليك و على أمتك.

(تَبْنِغِي) بذلك التحريم

(مَرْضَاتٍ) إرضاء (أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ) لك (رَحِيمٌ) بك 1

هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله و رفع عنه اللوم و رحمه و صار ذلك التحريم الصادر منه سبباً لشرع

حكم عام لجميع الأمة فقال تعالى حاكما حكما عاما في جميع الأيمان:

(قَدْ فَرَضَ) (شَرَعَ) **اللَّهُ لَكُمْ مَحَلَّةَ آيَمَانِكُمْ** و قدر ما به تنحل أيمانكم قبل الحنث

و ما به الكفارة بعد الحنث و ذلك كما في قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُخَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} 87 وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ 88 لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ { [المائدة: 87 - 89]

فكل من حرم حلالا عليه من طعام أو شراب أو سرية أو حلف يمينًا بالله على فعل أو ترك ثم حنث أو أراد الحنث فعليه هذه الكفارة المذكورة

(وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ) متولى أموركم و مربيكم أحسن تربية في أمور دينكم و دنياكم و ما به يندفع عنكم الشر فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم لتبرا ذممكم

(وَهُوَ الْعَلِيمُ) الذى أحاط علمه بطواهركم و بواطنكم و هو **(الْمَكِينُ)** فى جميع ما خلقه و حكم به

فلذلك شرع لكم من الأحكام ما يعلم أنه موافق لمصالحكم و مناسب لأحوالكم 2

(وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ) هى حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها أسر لها النبي ﷺ **(حَدِيثًا)** و أمر أن لا تخبر به أحدًا فحدثت به عائشة رضى الله عنهما

(فَلَمَّا بَيَّنَّتْ) فلما أخبرت **(بِهِ)** عائشة رضى الله عنها

(وَأَظْهَرَهُ) أخبره **(اللَّهُ عَلَيْهِ)** بذلك الخبر الذى أذاعته

و **(عَرَفَ)** أعلم حفصة النبي ﷺ **(بَعْضَهُ)** ببعض ما أخبرت به

(وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) أعرض النبي ﷺ عن إعلامها بعضه تكرمًا و حلما

(فَلَمَّا بَيَّنَّاهَا بِهِ) — **(قَالَتْ)** له:

(مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا) الخبر الذى لم يخرج منا؟

(قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) الذى لا تخفى عليه خافية يعلم السر و أخفى 3

(إِنْ نُبَوَّأَ) ترجعا -يا حفصة و عائشة

(إِلَى اللَّهِ) قد وُجد منكما ما يوجب التوبة

(فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)

حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من إفشاء سرّه

*مالت قلوبكما عما ينبغى لهن من الورع و الأدب مع الرسول ﷺ و احترامه و أن لا يشقن عليه
*الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ عائشة و حفصة رضى الله عنهما كانتا سبباً لتحريم النبی ﷺ على
نفسه ما يحبه فعرض الله عليهما التوبة و عاتبهما على ذلك

(وَإِنْ تَظَاهَرَا) تعاونا (عَلَيْهِ) على ما يشق عليه و يستمر هذا الأمر منكن

(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ) وليه و ناصره

(وَجِبْرِيلُ وَصَلَّى الْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ) نصره الله

(ظَهِيرُ) الجميع أعوان و نصراء للرسول مظاهرون على من يؤذيه و يعاديه

و من كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور و غيره ممن يناوئه مخذول

و فى هذا:-

1-أكبر فضيلة و شرف للنبي ﷺ حيث جعل البارى نفسه الكريمة و خواص خلقه أعواناً لهذا الرسول الكريم.

2-و هذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى 4

*ثم خوفهما أيضا بحالة تشق على النساء غاية المشقة و هو الطلاق الذي هو أكبر شىء عليهن فقال:

(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ) عسى ربُّه إن طلقنَّ -أيتهن الزوجات-

(أَنْ يُبَدِّلَهُنَّ أَزْوَاجًا خَيْرًا) يزوجه بدلا

و هذا من باب التعليق الذى لم يوجد و لا يلزم وجوده فإنه ما طلقهن و لو طلقهن لكان ما ذكره الله من هذه
الأزواج الفاضلات

(مَنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ) الجامعات بين الإسلام و هو القيام بالشرائع الظاهرة

(مُؤْمِنَاتٍ) و الإيمان و هو: القيام بالشرائع الباطنة من العقائد و أعمال القلوب.

(قَانِتَاتٍ) القنوت هو :-دوام الطاعة و استمرارها

(تَتَذَكَّرْنَ) عما يكرهه الله فوصفهن بالقيام بما يحبه الله و التوبة عما يكرهه الله

(عَلِدَاتٍ سَيِّحَاتٍ) صائمات

(فِيئَاتٍ) بعضهن ثيب (وَأَبْكَارًا) و بعضهن أبكار ليتنوع ﷺ فيما يحب

فلما سمعن - رضى الله عنهن - هذا التخويف و التأديب بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ

فكان هذا الوصف منطبقاً عليهن فصرن أفضل نساء المؤمنين

و فى هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال

و أعلى الأمور فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء و أكملهن **5**

نداء المؤمنين و الكافرين 6-8

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يا من من الله عليهم بالإيمان قوموا بلوازمه و شروطه.

فـ **(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ)** احفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم **(نَارًا)**

* وقاية الأنفس :-

1-بإلزامها أمر الله و القيام بأمره امتثالاً و نهيه اجتناباً

2-و التوبة عما يسخط الله و يوجب العذاب

3-و وقاية الأهل و الأولاد بتأديبهم و تعليمهم و إجبارهم على أمر الله

فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به ففى نفسه و فيما يدخل تحت ولايته من الزوجات و الأولاد و غيرهم ممن هو تحت ولايته و تصرفه

*وصف الله النار بهذه الأوصاف ليزجر عباده عن التهاون بأمره فقال: **(وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)**

كما قال تعالى: **{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }** [الأنبياء: 98].

(عَلَيْهَا مَلَكُوتٌ غُلَاطٌ شَدَادٌ) تَرْكِيْبُهُمْ فِي غَايَةِ الشَّدَّةِ وَ الْكثَافَةِ وَ الْمَنْظَرِ الْمُرْجِ

غليظة أخلاقهم عظيم انتهارهم يفرعون بأصواتهم و يخيفون بمرآهم و يهينون أصحاب النار بقوتهم

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) لا يخالفون الله فى أمره

(وَيَفْعَلُونَ) ينفذون **(مَا يُؤْمَرُونَ)** به على من أوجب عليهم شدة العقاب

هذا فيه أيضاً مدح للملائكة الكرام و انقيادهم لأمر الله و طاعتهم له ففى كل ما أمرهم به.

*أبى داود عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَ هُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَ اضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَ هُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ

وَ فَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»

قَالَ الْفُقَهَاءُ: وَ هَكَذَا فِي الصَّوْمِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَمَرِينًا لَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ

لِكَيْ يَبْلُغَ وَ هُوَ مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَ مُجَانِبَةِ الْمَعْصِيَةِ وَ تَرْكِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ **6**

يؤرخ أهل النار يوم القيامة بتوبيخ فيقال لهم **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدُوا)** لا تلتمسوا المعاذير فى هذا **(الْيَوْمِ)**

فلقد ذهب وقت الاعتذار و زال نفعه

(إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال و أنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله و التكذيب بآياته و محاربة رسله و أوليائه.

*البخاري 2468 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْمَرَاتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحرير: 4] فَحَجَجْتُ مَعَهُ فَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ فَتَبَرَّرَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَرَاتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحرير: 4]؟ فَقَالَ:-

وَاعَجَبَنِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرَ الْحَدِيثَ يَسْوِقُهُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَارًا لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَرِي أُمِّيَّةَ بْنِ زَيْدٍ

وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاقَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزَلَ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ فَصَحْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاَجَعَتْنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ وَإِنْ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ فَأَفْزَعَنِي فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: أَيُّ حَفْصَةَ أَتَغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ

أَفْتَأْمَنْ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِيغْضِبَ رَسُولَهُ ﷺ فَتَهْلِكِينَ لَا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَ لَا تَهْجُرِيهِ وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكَ وَ لَا يَغْرُنَكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضًا مِنْكَ وَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ -

وَكُنَّا تَحَدَّثُنَا أَنَّ غَسَّانَ تَنْعَلُ النَّعَالَ لِيُغْزَوْنَا فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا وَ قَالَ: أَنَايِمٌ هُوَ فَفَرَعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَ قَالَ: حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟

قَالَ: لَا بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَ أَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ

الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا

فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي قُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ أَوَلَمْ أَكُنْ حَدَرْتُكَ أَطْلَقَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: لَا أَدْرِي هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمُنْبَرِ فَإِذَا حَوْلُهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدٌ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ

فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتْ فَأَنْصَرَفْتُ

حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمُنْبَرِ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ

فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمُنْبَرِ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ الْغُلَامَ

فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي

قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ فِرَاشٌ

قَدْ أَثَرُ الرِّمَالِ بِجَنْبِهِ مُتَكِيٌّ عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ

ثُمَّ قُلْتُ وَ أَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «لَا» ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ:

أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قَرِيشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: لَا يَغُرُّكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَا مِنْكَ وَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ أُخْرَى فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ ثُمَّ رَفَعْتُ بَصْرِي فِي بَيْتِهِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثَةِ فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَ كَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: «أَوْفَى شَيْءٌ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طِيبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي فَأَعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ وَ كَانَ قَدْ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةٍ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ»

فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَ عَشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا فَقَالَتْ لَهُ: عَائِشَةُ إِنَّكَ أَفْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَ إِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَ عَشْرِينَ لَيْلَةً أَعْدُّهَا عَدًّا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَ عَشْرُونَ» وَ كَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَ عَشْرِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَنْزَلْتَ: آيَةَ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا وَ لَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ» قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمْتُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب: 28] إِلَى قَوْلِهِ {عَظِيمًا} قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ ثُمَّ خَيْرَ نِسَاءٍ هُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ

*البخارى -402 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَافَقْتُ رَبِّي فِي ذَلِكَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

- 1- لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلْتَ: {وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125]
- 2- وَ آيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتُ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَ الْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ

- 3- وَ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: (عَسَى رَبُّهُ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ "

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

عن مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: حَجَجْتُ حُجَّةً؛ فَنَزَلْتُ سِكَّةً مِنْ سِكَكِ الْكُوفَةِ، فَخَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ فَإِذَا بِصَارِخٍ يَصْرُخُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ: إِلَهِي؛ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مَخَالَفَتَكَ، وَلَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ لِي أَعَانَنِي عَلَيْهَا شِقَائِي، وَغَرَّنِي سِتْرُكَ الْمُرْخَى عَلَيَّ، وَقَدْ عَصَيْتُكَ بِجَهْدِي وَخَالَفْتُكَ بِجَهْلِي، وَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ، فَالآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي؟! وَبِحَبْلِ مَنْ أَتَصَلُّ إِذَا قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي؟! وَاشْبَابَاهُ! وَاشْبَابَاهُ! قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَوْلِهِ؛ تَلَوْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾^(١)، فَسَمِعْتُ حَرَكَةً شَدِيدَةً ثُمَّ لَمْ أَسْمَعْ بَعْدَهَا حِسًّا فَمَضَيْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَجَعْتُ فِي مَدْرَجَتِي فَإِذَا جِنَازَةٌ قَدْ وُضِعَتْ، وَإِذَا بِعَجُوزٍ كَبِيرَةٍ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَمْرِ الْمَيِّتِ - وَلَمْ تَكُنْ عَرَفْتَنِي - فَقَالَتْ: هَذَا رَجُلٌ - لَا جَزَاهُ اللَّهُ إِلَّا جَزَاءَهُ - مَرَّ بِابْنِي الْبَارِحَةَ وَهُوَ قَائِمٌ يَصِلِي؛ فَتَلَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا ابْنِي تَفَطَّرَتْ مَرَارَتُهُ فَوْقَ مَيِّتًا^(٢).

التحريم: ٦.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
تُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَوْدِهِمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ
فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا الْوَقْتُنِ مِنَ اللَّيْلِ وَنُفِثَتْ مِنْ عِصْيَانٍ
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا الْوَقْتُنِ مِنَ اللَّيْلِ وَنُفِثَتْ مِنْ عِصْيَانٍ

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ) ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله (تَوْبَةً نَّصُوحًا) رجوعاً لا معصية بعده
* تَوْبَةً صَادِقَةً جَازِمَةً تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ وَ تَلُمُ شَعَثَ التَّائِبِ وَ تَجْمَعُهُ وَ تَكْفُهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ
مِنَ الدَّنَائَاتِ.

قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية و المراد بها: -

التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها التي عقدها العبد لله لا يريد بها إلا وجهه و القرب منه و يستمر عليها في
جميع أحواله.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَخْطُبُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؓ يَقُولُ:
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا } قَالَ: يُذْنِبُ الذَّنْبَ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ فِيهِ.
وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هُوَ أَنْ:-

1- يُقْلَعُ عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَاضِرِ

2- وَ يَنْدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي

3- وَ يَعِزُّ عَلَى أَلَّا يَفْعَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

4- ثُمَّ إِنْ كَانَ الْحَقُّ لِأَدَمِيٍّ رَدَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِ.

-مصنف ابن أبي شيبة -27751 عَنْ ابْنِ مَعْقِلٍ قَالَ لَهُ: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: التَّوْبَةُ نَدَمٌ قَالَ: نَعَمْ "

* قَالَ الْحَسَنُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ: أَنْ تُبْغِضَ الذَّنْبَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ وَ تَسْتَغْفِرَ مِنْهُ إِذَا ذَكَرْتَهُ.

فَإِذَا حَزَمَ بِالتَّوْبَةِ وَ صَمِمَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا تَجِبُ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْخَطِيئَاتِ

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَحْمَدُ -17827 عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ؓ قَالَ:

لَمَّا أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ لِيُبَايِعَنِي فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ فَقُلْتُ: لَا أَبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي قَالَ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

* وَ هَلْ مِنْ شَرْطِ التَّوْبَةِ النَّصُوحُ الاستمرارُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْمَمَاتِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ وَ فِي الْأَثَرِ: "لَا يَعُودُ فِيهِ أَبَدًا" أَوْ يَهْجِي الْعَزْمُ عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِي تَكْفِيرِ الْمَاضِي بِحَيْثُ لَوْ وَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ الذَّنْبُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ضَارًّا فِي تَكْهِيرِ مَا تَقَدَّمَ لِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: "التَّوْبَةُ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا؟". وَ لِلأَوَّلِ أَنْ يَحْتَجَّ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا:

فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَخَذَ بِمَا عَمَلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ مَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أَخَذَ بِالأَوَّلِ وَ الْآخِرِ فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنَ التَّوْبَةِ فَالتَّوْبَةُ بِطَرِيقِ الأَوَّلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(عَسَى) من الله موجبة

(رَبِّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

و وعد عليها بتكفير السيئات و دخول الجنات و الفوز و الفلاح

(يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) بِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ (نُورُهُمْ)

بل يُعْلَى شأنهم (يَسْعَى) نور (بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ) يسير أمامهم (وَيَأْمِنُ مِنْهُمْ)

حال مشيهم على الصُّراط بقدر أعمالهم حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم و يمشون بضياءه و يتمتعون بروحه و راحته و يشفقون إذا طفئت الأنوار التي تعطى المنافقين

(يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا) ربنا أتمم لنا نورنا حتى نجوز الصراط و نهتدي إلى الجنة

(وَأَغْفِرْ لَنَا) و اعف عنا و تجاوز عن ذنوبنا و استرها علينا

نداء للنبي بوجوب جهاد الكفار

* كل هذا من آثار التوبة النصوح **(إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 8**

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار و المنافقين

(جَاهِدِ الْكُفَّارَ) الذين أظهروا الكفر و أعلنوه و قاتلهم بالسيف

(وَالْمُنَافِقِينَ) الذين أبطنوا الكفر و أخفوه بالحجة و إقامة الحدود و شعائر الدين

(وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ) و استعمل مع الفريقين الشدة و الخشونة في جهادهما

○ و الإغلاظ عليهم في ذلك

و هذا شامل لجهادهم:-

1- بإقامة الحججة عليهم 2- و دعوتهم بالموعظة الحسنة

3-و إبطال ما هم عليه من أنواع الضلال

4-و جهادهم بالسلاح و القتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله و ينقاد لحكمه

فإن هذا يجاهد و يغلظ له و أما المرتبة الأولى فتكون بالتى هي أحسن

(وَمَا وَدَّعَهُمْ)

و مسكنهم الذى يصيرون إليه في الآخرة (جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ) و قُبَّح ذلك المرجع الذى يرجعون إليه. فالكفار و المنافقون لهم عذاب في الدنيا بتسليط الله لرسوله و حزبه عليهم و على جهادهم وقتالهم و عذاب النار في الآخرة و يس المصير الذى يصير إليها كل شقي خاسر.

هذان المثالان اللذان ضربهما الله للمؤمنين والكافرين ليعين لهم:-

1- أن اتصال الكافر بالمؤمن و قربه منه لا يفيد شيئا

2-و أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئا مع قيامه بالواجب عليه 9

فكان في ذلك إشارة و تحذيرا لزوجات النبي ﷺ عن المعصية و أن اتصالهن به ﷺ لا ينفعهن شيئا مع

الإساءة فقال:-

ضرب مثلين لنساء كافرات و مؤمنات 10-12

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ المرأتان

(كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) نوح و لوط عليهما السلام.

نَبِيِّنِ رَسُولَيْنِ عِنْدَهُمَا فِي صُحْبَتِهَا لَيْلًا وَ نَهَارًا يُؤَاكِلَانِهِمَا وَيُضَاجِعَانِهِمَا وَيُعَاشِرَانِهِمَا أَشَدَّ الْعِشْرَةِ وَ الْإِخْتِلَافِ

(فَخَانَتَاهُمَا) في الدين بأن كانتا على غير دين زوجيهما

و هذا هو المراد بالخيانة لا خيانة النسب و الفراش فإنه ما بغت امرأة نبي قط و ما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه بغيا

*امْرَأَةُ نُوحٍ كَانَتْ تُخْبِرُ أَنَّهُ مَجْنُونٌ أَوْ تَطَّلِعُ عَلَى سِرِّ نُوحٍ فَإِذَا آمَنَ مَعَ نُوحٍ أَحَدٌ أَخْبَرَتْ الْجَبَابِرَةَ مَنْ قَوْمِ نُوحٍ بِهِ

وَ أَمَّا خِيَانَةُ امْرَأَةِ لُوطٍ فَكَانَتْ إِذَا أَضَافَ لُوطٌ أَحَدًا أَخْبَرَتْ بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ يَعْمَلُ الشُّوْءَ.

(فَلَمْ يُغْنِيَا) نوح و لوط

(عَنْهُمَا) عن امرأتيهما

(مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ) لهما (ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) 10

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) و هي آسية بنت مزاحم رضى الله عنها

* وَ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لَا تَضُرُّهُمْ مُخَالَطَةُ الْكَافِرِينَ

إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [عَمْرَان 28]

قَالَ: قِتَادَةٌ كَانَ فِرْعَوْنُ أَعْتَى أَهْلَ الْأَرْضِ وَ أَبْعَدَهُ فَوَاللَّهِ مَا ضَرَّ امْرَأَتَهُ كُفْرَ زَوْجِهَا حِينَ أَطَاعَتْ رَبَّهَا لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ.

(إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)

فوصفها الله بالإيمان و التضرع لربها و سؤالها لربها أجل المطالب و هو دخول الجنة و مجاورة الرب الكريم

(وَيُنَجِّنِي) و أنقذني **مِنْ** سلطان **(فِرْعَوْنَ)** و فتنته

(وَعَمَلِيهِ) مما يصدر عنه من أعمال الشر

(وَيُنَجِّنِي) أنقذني **(مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** القوم التابعين له في الظلم و الضلال و من عذابهم

— و سؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون و أعماله الخبيثة و من فتنة كل ظالم فاستجاب الله لها

فعاثت ففى إيمان كامل و ثبات تام و نجاة من الفتن **11**

(وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) صانته و حفظته عن الفاحشة لكمال ديانتها و عفتها و نزاهتها.

* **وَالْإِحْصَانُ:** هُوَ الْعَفَافُ وَ الْحُرِّيَّةُ

(فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب قميصها فوصلت النفخة إلى رحمها فجاء منها

عيسى ابن مريم عليه السلام الرسول الكريم و السيد العظيم.

(وَصَدَقَتْ) و عملت **(بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا)** بشرائعه التي شرعها لعباده

(وَكُتِبَ لَهُ) آمنت بسائر كتب الله تعالى المنزل

و هذا وصف لها بالعلم و المعرفة فإن التصديق بكلمات الله يشمل كلماته الدينية و القدرية

و التصديق بكتبه:—

يقتضى معرفة ما به يحصل التصديق و لا يكون ذلك إلا بالعلم و العمل

(وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) المطيعين لله المداومين على طاعته بخشية و خشوع

و هذا وصف لها بكمال العمل فإنها رضى الله عنها صديقة

و الصديقية: هى **كمال العلم و العمل.**

* أحمد -2668 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ

قَالَ: تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

1- خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ

2- وَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ

3- وَ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ أَمْرَأَةً فِرْعَوْنَ

4- وَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ "

*مشكاة المصابيح وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

« كَهْلٌ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا

مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ

وَ آسِيَةُ أَمْرَأَةً فِرْعَوْنَ

وَ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَهْضِلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ **12**